

نافذة في بردار الصمت

شعر

حامد طاهر أحمد درويش

محمد حماسة عبد اللطيف

٣٦٦

نافذة في جدار الصمت

شعر

حامد طاهر

محمد حماسة عبد اللطيف

أحمد درويش

دراسة نقدية بقلم الأستاذ الدكتور محمود الربيعي

الناشر

مكتبة الشباب

٢٦ شارع اسماعيل مري بالنبعة

ت: ٣١٨٣٥

قراءة لقصائد ثلاثة شعراء شبان
بقلم الدكتور محمود الرزبيعي

يواجه الشاعر المعاصر موقفا صعبا نابعا من أن أدواته الأولى (وأخشي أن أقول الوحيدة) وهى اللغة، قد استخدمها الشعراء قبله، وقلّبوها على كثير من وجوهها، واستخرجوا كثيرا من إمكاناتها، واستغلوا طاقاتها إلى أبعد الحدود. وهو إذ يأتى الآن بعد كل هذا التاريخ الطويل يجد نفسه مطالبا باستخدام نفس الأداة بطريقة مميزة (وللا سجل على نفسه عيب الاجترار). وعليه إذا أراد أن يقدم شيئا ذا قيمة أن يصارع هذه الأداة حتى يقتنصها وهى فى حالة حية تبدو عليها وكأنها جديدة. وهذا شيء صعب غاية الصعوبة! ذلك لأن اللغة، مهما قيل عن اتساعها، ورائها، وتعدد وجوهها، وعمق إمكانياتها، وسيلة محدودة، تبدو وكأنها تفقد جدتها بمرور الزمن، ومع توالى الاستعمال من قبل الموجات المتتالية من الشعراء المقتدرين وإذن فعلى الشاعر — إذا أراد أن يحقق شيئا — أن ينجز إنجازا مدعشا باكتشاف شيء خاص به داخل اللغة التى هى شئ مشترك بينه وبين غيره من أهل هذه اللغة. ويزيد موقفه صعوبة أنه — حتى بعد أن يحقق ذلك الإنجاز — مطالب بأن يحقق شيئا آخر هو الاحتفاظ بخط دقيق يعصمه من أن يسرف فى رحلته داخل مكتشفه الخاص هذا فيفقد القدرة على التوصل (وهى جوهر فنه). ويعصمه من جانب آخر من أن يتخلى عن خصوصية مكتشفه فيفقد القدرة على تقديم ما يريد أن يقدم بطريقة لم يقدم بها من قبل.

على أن هذا الموقف المتميز بالصعوبة الذى يواجهه الشاعر تقابله ميزة خاصة به تعادل هذا الموقف الصعب أو تكاد. وتتجلى هذه الميزة فى أن الشاعر —

وقد جاء بعد قرون طويلة من استعمال اللغة وتقليدها على وجوهها - أصبح يجد في خدمته مجموعة من التقاليد الأسلوبية التي استقرت بالممارسة فأصبحت جسوراً صالحة للتفاهم بين الشاعر وجمهوره ، ولكن هذه الميزة تتطلب أيضاً من الشاعر - لكي يجعل منها ميزة - الاحتفاظ بخط دقيق آخر يعصمه من أن يستخدم هذه القيم المستقرة على نحو آلي رتيب (فيقع في التكرار العقيم) ، ويعصمه في الوقت ذاته من أن يستخدمها على نحو جديد كل الجدة يخرجها عن طبيعتها باعتبارها جسوراً تساعد على التفاهم بين الشاعر والمتلقي .

وإذن فموقف الشاعر المعاصر من هذه الناحية موقف فريد وصعب . ومع ذلك فليس هذا هو الموقف الصعب الوحيد الذي يواجهه هذا الشاعر ؛ فثمة القيم التي يريد أن يتعامل معها ؛ هناك الهموم الوطنية العامة التي لا يصح للشاعر أن يتفادها لأنه لا يستطيع أن يتفادها . وهي هموم كثيرة ومتشعبة ، تراكم ، وتعمق ، وتطل برأسها في جوانب الحياة المختلفة في السياسة ، وفي الاجتماع ، وفي العلاقات الإنسانية اليومية . والشاعر على خطر من أن يغرق نفسه في هذه الهموم على نحو صريح ومباشر وتلقائي فيصبح مهدداً بأن يتحول إلى صحفي ، أو مصلح اجتماعي ، أو منظر سياسي ، أو أن يرتفع فوقها منفصلاً عنها - وهي من صميم همومه - فيفقد اتهاؤه ، ويفقد الصفة المشروعة التي تجعلنا نحس بوجود الإنصات له .

وهناك - إلى جانب ذلك كله - هموم النفس الخاصة ، التي تتشابك أشد التشابك مع الهموم العامة ، والتي هي مشروعة ، وطاحنة ، ودواعي تجددتها وتعمقها متاحة ومتزايدة . والشاعر - حتى في هذه الناحية -

يواجه خطر الاستغراق في الهموم الخاصة فلا يحولها إلى قيم عامة ،
ويترتب على ذلك حدوث الانفصال الأكبر بينه وبين الناس ، أو يكتبها
جملة فيتحول في شعره إلى مجرد مسجل نشط للحوادث ، أو بناء نشط
للقوالب ، ولكنه لا يستطيع أبدا أن ينفث الحياة في الذي يسجله
أو الذي يبنيه .

وتُصور هذه المجموعة الشعرية ، التي أقدمها للقراء ، صراع الشاعر
مع الكلمة بغية اقتناص المجهول ، والقبض على المستحيل . وهذا الصراع
مقرون بالوحشة الكائنة في روح الشاعر التي يحاول أن يجعلها
تتحسس طريقها إلى نفوسنا ، مستعينا بالوسائل الإيقاعية المتحررة من
كل قيد ، لتستقر في بؤرة اهتمامنا شعورياً وذهنياً ، مبلورة صراع الفنان
مع فنه ، وحنينه إلى السيطرة على النغم والكلمة ، وهما وسيلته وهدفه
في ذات الوقت . ونحن نلاحظ أن الشاعر غالباً ما يقر بهزيمته في هذا
الصراع ، ولكن هذه الهزيمة لا تعني الإخفاق الفني بمقدار ما تعني
الإحساس المتضاعف باكتراث الشاعر بفنه ، والإحساس بطول
طريق الفن ، وصعوبته ، وخصوبته . وأرجو من القارئ أن يتأمل
معي جزئيات ودقائق قصيدة الطريق إلى الكلمة ، (١) ليرى معي كيف
يتصارع الشاعر مع الفن ليسيطر عليه على نحو لم يقع
له - وربما لغيره - من قبل .

وسلاحظ القارئ أن الشاعر ينتهي عند النقطة التي يبدأ منها ، مما يعني

(١) القصيدة لحامد طاهر .

أن الصراع متصل ، وأن خيبة الأمل التي ينتهي إليها الصراع هذه المرة
- وخيبة الأمل هذه نظرة أساسية لأصحاب القصائد الثلاثة (١)
في جوانب الحياة كما سيتضح - ليست إشارة إلى اليأس بمقدار ما هي إشارة
إلى توافر الحافز لبداية صراع جديد :

(الطريق إلى الكلمة)

سبعة أعوام -
وأنا أمشي في الطرقات الليلية .
أتجنب وقع الأقدام -
تصفعني الريح الشتوية .
أتمش فوق الدرب -
ياساحرة العينين بحسبي
أني ودعت الأهل ،
خلصت إليك بحسبي .
قدمت هدايا قلبي
هانث في عيني الدنيا من أجلك
وأظل على أمل اللقاء أمشي
ياروعتها لو تصبح يوما بين يدي !
طبيعة أدعوها فتجيب
عشاً أبحث في جوف الظلمة عنك
عيناي على كل الأبعاد خيوط رجاء .
صدرى يلث

(١) محمد حماسة ، وأحمد درويش ، وحامد طاهر .

تعلو بين حناياه الأصداء
قلبي يهوى في قاع بمد
أخلفت الموعد !

* * *

وأعود برأسي طائفة المزدوم
أعود

وفي جسدي رعشات الحمى
أصوات شوهاء بلا معنى
أنغام تتشابك في غير نظام !

* * *

ويجىء اليوم التالى
فإذا قلبي في الطرقات الليلية
يتجنب وقع الأقدام

ويتصارع الشعراء الثلاثة أيضاً مع الهموم الخاصة ، ولكنهم —
باستثناء قصائد قليلة (١) — يحاولون محاولة جادة جعل هذه الهموم
الخاصة فنا يخرجها عن خصوصيتها ، التي ليست لها أهمية عامة ، ويحولها
إلى قيمة عامة تجد طريقها إلى دائرة اهتمام الآخرين . وهم أيضاً يتصارعون
مع الهموم العامة ، ويحاولون محاولة جادة جعل هذه الهموم العامة شيئاً

(١) مثل قصيدة « تحيتي لهما » لحامد طاهر ، وقصيدتي « أخاف من عينيك »
و « أنين الذكريات » ، لمحمد حماسة ، وقصيدتي « عينك » ، و « ورقة ورد » ،
لأحمد درويش .

خاصاً يتغفل إلى عالم كل أحد ، ويحد طريقه إلى دائرة اهتمامه الخاص .
وهم في كل ذلك - وبالإضافة إلى الصراع الذى صورته قصيدة
« الطريق إلى الكلمة » - يتصارعون مع أداتهم الكبرى (اللغة)
بصورها ، وإبقاعها ، ورموزها ، وما تشتمل عليه من إمكانيات إيحائية
ودرامية ، ويحاولون محاولة جادة توظيف هذه الأداة الفعالة لبناء
« معادل » ، فنى تلتقى فيه الهموم الخاصة بالهموم العامة ، فى بؤرة رؤية
واحدة ، لا تشكل اللغة وعاءها الخارجى ، وإنما تتوحد معها ، فتصبح
هى هى ، ويصبح البناء الشعري هو الهم الخاص ، وهو الهم العام ،
وهو النسيج اللغوى ، وهو الإيقاع ، وهو التصوير ، وهو الرمز ،
وهو معطيات الحس ، وهو معطيات الشعور .. كل ذلك يمتزج فى
كيان واحد متساوق ، ينعكس بعضه فى بعض ، ويفيض بعضه فى بعض ،
فيضان التشرب ، والتحمل ، والذوبان ، بحيث لا يبقى أمام القارئ
البصير فى نهاية المطاف سوى الصورة الفنية المعبرة ، قائمة بنفسها ،
ومؤثرة بنفسها .

وصحيح أن المنطلق الأساسى منطلق فردى فى شعر هذه المجموعة -
وفى كل شعر - ولكن المنطلق الفردى إذا لم يتمخض عن خالق فنى ،
يكتسب خصائص موضوعية ، ويفجر عواطف وأفكاراً وأحاسيس
لها صفة عامة ، فإنه يخفق إخفاقاً كاملاً فى تحقيق الذات تحقيقاً فنياً .
وذلك هو الذى يجعل من جوهر الفن جوهرها فريداً ، إن مادته الأولية
مادة ذاتية ، ولكن هذه المادة الأولية تتحول فيه تحولا يفقدها طبيعتها
الذاتية ، وتأخذ شكلاً جديداً يلتحق بالعالم الموضوعى الذى يشكله الفنان ،
مستخدماً عناصر التشكيل اللغوية بكل ما فيها من إمكانيات .

وقد تعطى القراءة الأولى لهذه المجموعة انطباعاً يظلمها ؛ ذلك لأنها
تحتوى على عدد غير قليل من القصائد التى تتناول العلاقة بين الجنسين فى
أشكالها الغزلية المعهودة . وليس أمام القارئ الفاحص من سبيل فى هذه
الحالة إلا أن يمتحن هذه القصائد الغزلية فى صبر ، وسيرى أن السمة
« الغزلية » ، العادية لا تكون فى أحيان كثيرة (١) سوى السطح الخارجى
الذى يلمو عليه الشاعر لهما حراً ليكشف فى العمق عن أمـور تتصل

(١) حقاً إن الموقف الغزلى التقليدى يطفئ على الشاعر فى حالات قليلة
أشرت إلى نماذج منها فى الهامش السابق . وفى هذه الحالات يسود الجوارومانسى
الساذج الذى يتحول فى بعض الأحيان إلى سرف عاطفى ، وفروسية بجوفة ،
تنتج الرقابة ، وتكرار الأمور المعادة ، وتحول بين الشاعر وبين القدرة على
النفاذ إلى جوهر التجويد الفنى الذى هو نمو وتطور حى بين العناصر اللغوية
والشعورية الفعالة . ومن السهل أن يتبع الإنسان هذه الأمور السلبية . والكشف
عنها لا يحتاج إلى مجهود ، فهى فى الحقيقة تكشف عن نفسها . ولكننى أعتقد أن
الجانب الذى ينبغى أن يستحوذ على اهتمام القارئ الناقد هو الجانب الإيجابى ،
وهو يتمثل فى تلك القصائد التى تحقق قدراً من الجودة يكشف عن نفسه منذ
القراءة الأولى . على هذا الجانب ينبغى أن يركز ، وذلك بغية الكشف عن القيم
الفنية التى تلقى الضوء على أسلوب الأداة فى هذه القصائد ، وتكون دليل القارئ
لتذوق هذه القصائد وميولاتها . مثل هذا المنهج — فى نظرى — أكثر فائدة
من توزيع الأحكام بالجودة والرداءة ، ومن التصنيف الذى لا يساعد القارئ
كثيراً .

بالكشف عن الصراع بين ما يدور في نفس الشاعر من ناحية وبين أدوات الشاعر الفنية من ناحية أخرى ، وذلك بغية الوصول إلى الصيغة المناسبة التي يتفاعل فيها هذان العنصران ليكونا شيئاً متوازناً ، منسجماً ، طبيعياً هو العمل الفني . وهذا الصراع يأخذ مظاهر شتى ، بعضها بسيط ، وبعضها معقد . ونحن نلمح منذ البداية حدة غير عادية في تناول هذه الأمور العادية ، ومن مظاهر هذه الحدة ذلك الكبرياء الذي يعبر عنه على نحو تقريرى ، ولكنه يحتوى على نتائج مدمرة :

إننى خطّمت ما خلقتُ يد قلبي وليكن تلفٌ
لاتنظي بي معاودةً إننى بالكبر متّصفٌ (١)
ومنها الإحساس الحاد بالصلة الحية الكائنة بين عواطف النفس والقلب
الفنى الذى تتشكل فيه ، وعلى هذا المستوى يفكر الشاعر فى هذين العنصرين :
لا تقولى ذلك الشعر كلامٌ كل ما فيه رنين النغمات
إنه روحى وقلبي ودمى مسّت النار فصارت كلمات (٢)

وقد تصل هذه الحدة مرحلة يرى الشاعر فيها لعبة الحب الخطرة فرصة
يتمتحن فيها قدرته على الاقتحام والمغامرة ، فهو يستشرف الآفاق الصعبة عن
قصد ، وتجربة الحب ليست للمتعة المترفة ، وإنما هى لمتعة من نوع آخر
تنصهر فيها النفس بالآلم ، والتحدى ، ومواجهة المخاطر القاسية :
أنا لا أبحث عن شط به ترتاح سفنى
إنما أبحث عن بحر عنى الموج مضنى

....

-
- (١) من قصيدة « الوداع الأخير » ، لمحمد حماسة .
(٢) من قصيدة « أولى كلمات الحب » ، لحامد طاهر .

أنا أهوى رهبة الغابات لا سحر الزهور
أن أصقّ من لظا النار ابتصامات ونور (١)

بل إن الموقف ليتطور تطورا غريباً في بعض الأحيان فتصبح
المتعة في الحرمان ؛ لأن الحرمان هو مظهر التجدي . وهذه الناحية لها
قيمتها من حيث إنها مظهر التعمق للموقف العادي ، والوصول به إلى الحد
الذي يرى فيه طرفه المقابل ، ذلك الطرف الذي يقف به على حافة نقيضه :

بحقّ هـواك لا تعطيني الشيء الذي أنشد
وكوني دائماً أبعد
من السكف التي تمتدّ (٢)

أما المظاهر الأكثر تعقيداً فهي التي تأخذ فيها تجربة الحب ، قالبا
أكثر موضوعية ، وذلك حين تستخدم الرموز للتعبير عما يريد الشاعر .
وما يريده الشاعر - حتى في هذه الحالات - قريب واضح ، ولكن هذا
الوضوح لا يعنى بالقطع السطحية في امتحان الشاعر مشاعره ، كما أنه لا يعنى
عدم قدرته على تشكيل هذه المشاعر تشكيلاً مناسباً . بل إنه قد يعنى عكس
ذلك ، وهو أن الشاعر كان قادراً على استغلال الموقفين الشعوري
والرمزي ، وأدائهما على هذا النحو الواضح المتوازن .

إن موت الحب في قصيدة ، الذي لن يعود ، (٣) جاء نتيجة
لغياب الحيلة اللازمة في المحافظة عليه باعتباره سرا عزيزا . وهذه القيمة

(١) من قصيدة ، جنية البحر ، لأمجد درويش .

(٢) من قصيدة ، النار المقدسة ، لحامد طاهر .

(٣) لمحمد حماسة .

الشعورية المعنوية البسيطة تأخذ صورة رمزية قريبة المثال هي صورة قصة يوسف . ولكن المسألة تُفصل تفصيلا بحيث يرمز كل عنصر من عناصر هذه القصة إلى عنصر مقابل في التجربة العاطفية . ولئن كان اغتيال يوسف كذبا من جانب إخوته في القصة فإن اغتيال الحب (الذي هو المعادل العاطفي له) كان في القصيدة حقيقة واقعة . والشاعر يجمع جوانب الموقف في الجزء الثاني والأخير من القصيدة ، ويؤديه أداء بسيطاً يلقي الضوء على تلك الجوانب :

يوسف المحبوب لم يلعب ولم يرتع كما كان يريد
كم تمنى قلب يعقوب المدنى لو يعود
قلب يعقوب أملىته الأمانى والوعود
عينه ابيضت من الحزن ولكن لن يعود
لانه يذكر حلما
قد رآه طفله المحبوب يوما
يومها أوصاه د لا تقصص لغيرى رؤيتك
فيكيدوا لك كيدا ،
يوسف المسكين مات
حين ذاع السر مات
لاتظنى أنه بعد سنين سيعود
حاملا في كفه اليبضاء خصب المنبيلات
انفضى عن قلبك الغافى تراب الغفلات
يوسف المسكين مات !

وتبقى الرموز واضحة في قصيدة د شهر يار في الليلة

الألف، (١) ولكن التشكيل الشعري يُدخل على الأسطورة عمقا هو من هموم الإنسان المعاصر . إن نافذة رهيبة من الخوف الغامض تنفتح في نفس « شهر يار ، العصرى فتغص عليه كل شئ » .

لكننى يا شهر يار
لكننى أخاف
أخاف أن أبصر فى منعطف الطريق
نهاية المطاف

وإذا كان الخوف هو العدو الأول للإنسان العصر فإن الشك هو صنو ذلك الخوف فى نفسه . والشك فى القصيدة « هو العبد الأسود ، الذى هو ليس بعيدا عن جو الأسطورة . وهذا الرمز يحتل مجال رؤية الشاعر فلا يكاد يبصر سواه ، وهو يلقى بظله الأسود على كل شئ :

العبد يحتل منافذ الأفق
العبد يمتطى هياكل الفلك
الشفة الغليظة المشققة
داست قداسة الملك^{١٥}

إن الخوف والشك يمتزجان حتى يصعب التمييز بينهما فى مجرى الشعور ، وفى تشكيل القصيدة . إنهما قيمتان متداخلتان أشد التداخل . وتداخلهما على هذا النحو هو الذى يجعل من الحديث عن كل عنصر منهما ثم العودة إلى الحديث عنه من جديد أمراً مفهوما . وهذا المزيج من الخوف والهك هو

(١) لأمحمد درويش .

ذروة أزمة إنسان العصر الحديث ، ينظر من خلاله إلى عاطفته فيطيل النظر ، ولا يبدو أنه في النهاية قد استقر على قرار . وعلى الرغم من أن « شهر يار » العصري ، ليس دمرياً فإن مخايل الشك والخوف في نفسه قد أصبحت أكثر عمقا ؛ لأنها — كما قلت — هي نافذته الوحيدة التي يطل منها ليتأمل ويفكر ، فيطيل التأمل والتفكير :

يا شهر زاد
تكلمى . . تكلمى
فأصمت بروى عوده الظمآن من دى
ماعاد شهر يار
يستلّ كالأمس خناجر الغيرة والعتاب
لسكى يسيل الدم كالأنهار

إن الشاعر حين يصور ذلك الموقف المعقد لا يتحدث عن الحب حديث الغزل العادى ، وإنما هو بالأحرى يفتح عينيه في نظرة ثاقبة على جوهر الصراع بين الهدف الحيوى للإنسان وما يقف دونه من محاذير . ونتيجة ذلك أن الروح الشاعرة يعترها قلق يصل بها إلى حد الفزع . ولكن المهم هو أن الفزع لا يسلب الروح الشاعرة إرادتها ، ولا يحول بينها وبين استخدام هذه الإرادة . إن الشاعر يرتعد من الخوف ويحن إلى الاقتحام في الوقت نفسه .

وإذن فإنه قد يصح القول بأن هذه القصائد هي المظهر الفنى للحنين الأزلئ الكائن في نفس الإنسان إلى التغلب على وحشة الروح عن طريق محاولة إقامة جسر اتصال بينها وبين أرواح الآخرين . ومع أن الصعاب جمة في سبيل تحقيق ذلك فإننا نرى استمرار المحاولة .

إن موقف الاكتراث الذى رأيناه في قصائد « الحب » يظهر مكبراً

ومكشّفاً في جانب آخر من قصائد هذه المجموعة ، وهو الجانب الذي يخلص فيه الشاعر من فحص هموم النفس ، ويحاول أن يفحص هموم الآخرين (هذا مع التسليم بالطبع بأن هموم النفس وهموم الآخرين وجهان لعملة واحدة) . في هذا الجانب يشيع إحساس عميق بخيبة الأمل الناشئة عن التجربة الكاشفة التي توافرت للشاعر المعاصر فوضعت في مركز ذهني وشعوري يمكنه من أن يكون على وعي دائم بالموقف المهزوم الذي يجد الإنسان فيه نفسه . وهذا الإحساس بخيبة الأمل يُقلِّب على كل وجوهه ، وما يزال الشاعر به حتى يخلصه من كثير من الظلال الصارخة التي تحيط به ، ويحوّله إلى تيار ثابت تختلط فيه أحياناً السخرية بالغضب ، والملمة بالمأساة ، وإذا انتهت الحال إلى هذا وجدنا أن الذاتية تختفي بالتدريج لتحل محلها صور قائمة على الاختيار الموضوعي ، وهذا يساعد بدوره على تجاوز القالب الفني الغنائي ، إلى نوع من التشكيل الدرامي . .

. . . .

في قصيدة ، السابعة دائماً ، (١) يكشف الإحساس تكشيفاً شديداً يجعل البساطة تتحسس طريقها في حرص حتى تصل إلى طبقة عميقة تختلط فيها القشرة اللاهية بالعمق الجاد . ولا نكاد ننهي من الافتتاحية حتى تضعنا القصيدة في حالة تراجعية - كوميدية ، تنشأ بصفة خاصة عن تلك الذروة المفاجئة (anticlimax) التي تكون نهاية المقطع الافتتاحي .

يدق « المتنبّه » في السابعة
فافتح عيني من حلم ليل ثقيل
وأسحب من تحت بابي الجريدة
فتمسحها نظرة خاطفه

(١) لحامد طاهر .

يحدثني الحظّ عن صفقة رابحة
وأنى أوفّق في جانب العاطفة
ولسكنى أحمد الله
حين أشدّ قيصي فالقاء ..
لم تدر بعد .. ياقتّه الناصعة !

ويتطور الموقف في المقطع الثاني على نحو غريب يجعل من ذلك
الإنسان العادي بطلا ، ولكن على طريقة البطولة الساخرة ، (mock-heroic)
التي تجعل من المركبة العامة ميدان المعركة التي سيخوضها ، كما تجعل
الانتصارات التي يحرزها مجرد مقعد يتركه طواعية ، في النهاية ، من أجل
ابتسامة !. والواقع أن المقطع الثاني هذا تطوير للمقطع الافتتاحي على نحو
يبلغ بالموقف كله درجة عالية من التوتر ، ذلك التوتر الذي تغذيه المواقف
الفرعية المتقابلة ، حشر النفس ، طواعية ، ثم مدافعة رائحة الآخرين ،
والتفكير ، ثم الفعل ، في أفكر كيف ... أهب بكل اندفاعي ،
ثم الأنفاس المجهدة ، في مقابل هادئة وادعة ، وفي شقاء البشر الذي
تقالبه راحة الجماد في استريح الكتيب ، . وحين يتطور الموقف على هذا
النحو يصبح الشخص العادي عملاقا أمام أعيننا ، فيه من الغرابة ما في كثير
من الشخصيات المعروفة في الأدب ، التي تدخل في أرك وهمية ، وتعمل من
نفسها مركزا للحياة (حيث لا مركز في الحقيقة ولا حياة) :

أجى المحطة
أحشر نفسي بين الزحام
أدافع رائحة الواقفين

أفكرُ كيف تسير بنا المركبة ؟!
و حين تلوح أهبّ بكل اندفاعي منتزعا مقعدا
وبينا أعالجُ أنفاسي المجردة
أشاهد جارتني الجامعة تصعدُ
هادئةً وادعةً

على صدرها تستريح الكتب
وفي شعرها وردة يانعة
أسارعُ أمتحها مقعدى
لتمنحني بسمةً رانعةً

على أن المعركة لم تنته بعد ، فما زال الموقف يمضي صاعداً إلى لمحات
أخرى من النقد الاجتماعي ، ومن التحليل الشعوري . وتبلغ المأساة -
اللاهية ذروتها في تصوير الانفصام العميق بين هموم الذات التي تنسحق
تحت خيبة الأمل (وفي هذه المنطقة يتركز ثقل الحياة كله) وبين طاقات
الحواس السطحية التي تعطي بصريّة آليّة ، للمصلحة ، :

وفي المصلحة ،
أعيش بكفى وعيني بين الدفاتير
ليس لهم غير هذا لدى !
مئات المطارق في الصدر تهوى على كل حلم جميل
ويخنقني أن دَيني ثَقيل
خطاب أبي عن ضرورة إرسال بعض النقود
حذاني الجديد يُؤجّل للمرة الرابعة

ولإذ نتصور أن الدائرة قد أوشكت على الاكتمال على نحو أشد
ماتكون قمامة يفلت الموقف كله إلى ناحية مضادة تتغلب فيها الروح
الساخرة على كل شيء عداها ، وينفتح ثقب في جدار اليأس ،
مؤكد المعنى الغريب في ذلك المزيج « المأساوى - الملهاوى » الذى
نسميه الحياة :

أحبك يا قاهره
أحب شوارعك الواسعه
أحب ميادينك الفاخره
مقاهيك .. نسوتك الفانئات ،
يُضيّقن خطواتهنّ ، ويفهق منهنّ أغلى العطور
أحبك لكن رأسى يدور !

ورغم ذلك الانفراج المؤقت نحس أن دائرة اليأس لا بد مغلقة ، وأن
مابدا على أن نافذة للخلاص ليس فى الحقيقة سوى رقصة الطائر المذبوح .
ونعلم أنه الدائرة فولاذية ، ومفرغة ، ورتيبة ، وأن الجدار لا بد أن يقف
مصمتا فى النهاية . ونحس أن المواقف المترابطة بشدة قد آذنت بنتيجة
إيجابية فى الفن ، فى نفس الوقت الذى تؤذن فيه بنتيجة سلبية خائبة فى
الشعور . وهكذا فإن الموضوع الذى بدا أولا على أنه موضوع تافه
مقدّم فى لغة أقرب إلى الثثرة العادية ، قد تحول إلى شيء جد خطير ، هو
تسليط الضوء بشدة على حركة الإنسان اليومية فى دائرة مصمتة مفرغة هى
الحياة نفسها :

مع الليل

تأوى خطاى إلى الحجرة القابعة

عشائى خبز وجبن

وبعض الفواكه .. آكلها قارئاً فى كتابٍ عن الحب

أو عن مغامرة ضائعة

يغالبنى النوم

تضبط كفى المنبّه .. للساعة السابعة

وهكذا تسعى المشاعر الذاتية فى قصائد هذه المجموعة سعياً دائماً إلى أن تأخذ قالبها الموضوعى المناسب . والحق أن هؤلاء الشعراء الثلاثة يبحثون باستمرار عن مواقف إنسانية يضمنونها إحساسهم بمعنى الشقاء الإنسانى .

وهذه المواقف لا تصوّر على نحو مباشر ؛ بل تتطور فى قصائدهم على نحو محكم ؛ قائم بنفسه ، قادر على التأثير ، لامن حيث هو شعور مفرد أو صور شعرية مفردة ، وإنما من حيث هو عمل تركيبى جمالى ، تتفاعل عناصره الأساسية والفرعية فى تحديد معنى النمو والتطور والتكامل فيه . وهذا كله يتحدد فعاليته داخل العمل بمدى التركيز ، والتنوع ، والتنغيم ... الخ ، حتى إذا بلغ العمل الفنى مداه المراد له أحسسنا بالفارق البعيد بين هذه المشاعر فى صورتها الذاتية الأولية (وأخشى أن أقول البدائية الفجة) ، وبين صورتها وقد استوت فنا له سماته الخاصة ؛ وحياته الخاصة ؛ التى تجعله يؤثر تأثيره الكامل على نحو قد يتجاوز مداه ، حتى يفوق ما أراد به الشاعر

له . إننا نجد أنفسنا نتأمل الموقف الإنساني في شكله الفني وقد تخلصنا من سيطرة الشاعر ووصايته علينا ، ونجد أن التركيب الشعري قد استغرقنا ؛ مفجراً كل ما يمكن من الأحاسيس المخزونة لدينا ؛ مما يتصل بهذا الموقف ؛ ومما يتصل بالمواقف التي تتشابه معه ؛ بل والتي تضاد معه .

في مثل هذا الأسلوب الدرامي ، تعرض المجموعة مزيداً من تصوير خيبة الأمل والإحباط اللذين يحس بهما الشاعر المعاصر ، فقصيدته دالوا مات ، (١) تخلع الإحساس الخاص على موقف خارجي . وهي إذ تبدأ لاهثة ، لاتجد معادلاً ، للدائمة التي تهدف إلى تصويرها — والتي ليست شيئاً سوى الحياة نفسها — إلا حركة الآلة السريعة الصماء العنيفة بكل ما يتجمع حول تلك الآلة من مشاعر الانسحاق الغشوم . ولكن العنصر الإنساني لا يلبث أن يلتحم بالعنصر الآلي ، وذلك قبل أن يتقدم المنظر الافتتاحي كثيراً . ومع هذا الالتحام تتضح لنا بالتدريج أبعاد المأساة ، تلك المأساة التي يُشكل الإنسان دائماً محوراً وتطبع دائرتها ، إذ ذاك تنفتح نفوسنا على جوهر المأساة وأصلها ؛ بحيث تملأ علينا مجال الرؤية كله ، وبحيث تبرز لأعيننا الحيات ، المخيفة التي لاتنفك حرباً على الإنسان ، والتي من أبرزها الخوف والقلق وما يشيعانه من جو خائق متوتر . كل ذلك يؤدي بنفس السرعة والعنف عن طريق حشد مجموعة كبيرة من الصور المركزة ، ومن المعجم الحافل بمعنى التوتر ، والاختناق ، والقلق . وينتهي المنظر الافتتاحي من القصيدة بعد أن يصل إلى مدى ينفرج فيه التوتر قليلاً ؛ ولكن ليقف على حافة توتر جديد :

(١) لمحمد حماسة .

العجلات تدور تدور
ودخان أسود ما ينفك يشور
الأوجه عرقى والأيدى بمدودات للنور
، اللقمة حمقى والعيش صراع ،
كلمات في الصدر تمور
أحرفها في الوجه تلوت بتجاعيد
وأخاديد
يرقد فيها العمر الذاوى نهب الخوف
نهب القدر الرابض في العجلات ومعه السيف
آه آه لو يسمو !!
القدر الرابض في العجلات كثيرا ما يلهو
والعجلات تدور تدور
والموأل النابض بالأحزان على الشفتين
تتمطى كلمات فيه تنادى الليل تنادى العين
تتلوى فيه الذكرى آه آه
يا لله !

وعند هذا الحد - وبنفس المستوى من السرعة في الإيقاع -
يرتد اللحن منولوجا داخليا ، ومعنى هذا أن القيمة الشعورية المعبر
عنها في قالب موضوعي ؛ تبرز نفسها مرة واضحة ، صريحة ، جهرية
كضجيج الآلة ، ومرة أخرى تأخذ امتدادها دون ضجيج كعمل الآلة
المسكتوم الذى ينبىء عن فعالية أجزائها ، ولكن في حركة داخلية عميقة

لايكاد يُسمع لها صوت . ويبدأ المنولوج الداخلي ، على نحو لايكاد يُحسُّ ، وهو يتطور ليلقي الضوء باهرا على عناصر في الموقف تتعلق بالماضى ؛ وذلك بهدف إضاءة الحاضر . ولأن الماضى والحاضر يشكلان قيمة واحدة حاضرة في الذهن فإن معطياتهما تتداخل في هذا القسم من القصيدة ؛ بحيث لانهس بتوقف ما في امتداد الموقف ؛ وذلك على الرغم من أن هذا القسم من القصيدة يعالج الموقف بأسلوب الارتداد ، (Flash-back) . وإذ ينتهى هذا المنولوج الداخلى ينتهى أيضا على نحو لايكاد يحس ؛ وذلك حين يسلم إلى صحوة مفاجئة ، وإن كانت ملتزمة به أشد الالتحام :

من أعوام
جاءته البشرى بسلام
دارت مثل العجلات الأيام
يوم حلو يوم مُرّ
يوم خصب يوم محمل
صار البيت خلية نحل
البيت . . البيت . . البيت !
سُم الأولاد طعام الزيت
لعن الله الأزمات ،
(وهنا ينتهى المنولوج الداخلى دون أن ينتهى المقطع)
دار الرأس مع العجلات
وانتفض - على فزع - صوت
احذر . .
احذر ! ،

واحتترقت صرخات

يا لله !

وليس المقطع الختامى فى القصيدة مجرد تجميع لخيوط الموقف ، أو إلقاء نظرة أخيرة على ميدان الصراع الدامى ، بل إنه يحتشد لخدمة غرض أبعد من ذلك ، وهو إعطاء الإحساس بالدائرة المغلقة ، نفس الدائرة التى أغلقتها بعناية قصيدة السابعة دائما . وإعطاء الإحساس بأن الدائرة مغلقة هو هدف التشكيل الشعرى كله فى القصيدة . ومن الملاحظ أن « دورة العجالات » (وهى العنصر المعادل لدورة الحياة كلها) لا تتوقف . ولكن هذا لا يعنى انفراجا متفائلا بأى شكل من الأشكال ، وذلك لأننا نحس أن هذا الدوران مهما استمر فإنه سينتهى إلى دورة مغلقة كالدورة السابقة ، وهو يحطم فى دورانه كل أمل ، ويحبط كل مسعى ، وكل الشواهد توحى بأن الدورات الآتية ستجرى على نفس المنوال :

ماتت فى المـوَّال النغمة
دُفنت فى الشفتين الكلمة
واجتمعوا
خرست ألسنتهم . . دمعوا
رجعوا والحسرات . .
تقطر من أوجهم عرقا . .
« قالوا مات ! »
والأيدي امتدت للتنوير !
والعجالات تدور . . تدور

واللقمة حرق والعيش صراع

كلبات في الصدر تمور !!

إن الشقاء الإنساني أنواع ، وخيبة الأمل ، النابعة منه والمرتدة إليه كذلك ، أنواع . ولكن هذه الأنواع تعود كلها - فيما تصوره هذه المجموعة الشعرية - إلى مصدر واحد كبير هو الشاعر في مواجهة الحياة ، فالشاعر هنا يلتقط بعض مواقف الحياة ، ولكنه لا يقصدها لذاتها ، وإنما يستخدمها للكشف عن الهوة المصيبة التي يتردى فيها الإنسان ، والتي يرى الشاعر من صميم رسالته أن يسلط الضوء عليها . وليس من الضروري في هذه الحالة أن تستوفى المواقف على نحو يرتب النتائج على المقدمات ، بل إن الحال في الشعر قد يحتم تقديم مجرد إشارات كاشفة من عناصر الموقف تكفي للإلمام به باعتباره رمزا لشيء وراءه ، لا باعتباره شيئا مقصودا لذاته .

إن قصيدة «زيارة سجين» (١) مثلا تهدف إلى «تقطير» معنى الشقاء الإنساني ، وإعطاء الإحساس بالأبعاد المرة لهذا الشقاء ، متخذة من سبر أغوار النفس البشرية سبيلا إلى الإحاطة - أو محاولة الإحاطة - بهذه الأبعاد . وليس محتوى هذه القصيدة هو المهم - وإلا لكانت تكرارا وإعادة لعشرات القصائد قبلها - ولكن تركيبها في الحقيقة هو المهم . وحين أقول تركيبها لا أقصد إطارها الخارجي ، وإنما أقصد أسلوب الأداء فيها ، ذلك الأسلوب الذي يشتمل بداهة على المضمون المعبر عنه فيما يشتمل .

وفي هذه القصيدة نسمع أصواتا شتى ؛ بعضها متران ؛ وبعضها

(١) لأحمد درويش .

متقاطع ، ولكنها كلها تعمل متعاونه على تركيز الإحساس بالموقف الذى
تصوره . والتركيز على الجزئيات الدقيقة فى الموقف هو أبرز ما يميز
افتتاحيتها ، فلا شيء يحسم الإحساس بالهزيمة والخوف والتردد وتوقع
الإخفاق كتلك الصورة التى تقدم لنا فى بطن للصوت المقهور وهو دى زحف ،
على جدران السجن . لأنه أول صوت نسمعه ، ومع ذلك فهو كفيف بأن يضعنا
شعوريا على عتبة الموقف كله ويجعلنا مهيمنين للتلقى . إن الضعف البشرى فى
أشد حالاته هو ما يوحى به ذلك الصوت الذى يتسلق جدران السجن فيصل
إلى آذاننا كالضحج المضبوط ، وبذلك تحمل الافتتاحية فى طياتها - وبخاصة
فى اللحن الأخير منها - ما يكتفى من عناصر التدمير والإخفاق ، وانظر
كيف يرتد الصوت المتسلق على الجدران منهزم ما خائرا :

« سيد صديق »

اسم من خارج أسوار السجن العالية يرن

يتسلق جدران السجن الملمس ..

يحاول أن يصعد للشرفات

ثم يهين !

يرتد جريح الأحرف .. دأى الكلمات

يموت بدون كفن

إن الضوء لا يسلط على « سيد صديق » (وهو كائن داخل الجدران)
ولمّا يسلط على الصوت الآخر (وهو كائن خارج الجدران) ولكنه من
إحباطه وانسحاقه فى سجن أى سجن . إن « سيد صديق » مجرد اسم ،
وهو يبدأ كذلك ، وينتهى كذلك (على تنوع فى الدرجة الشعورية التى

يحملها في كل مرة من المرات الثلاث التي يتردد فيها في القصيدة) ، ولكن
المخلوق الذي يعطى الاهتمام كله هو ذلك الذي ضُنَّ عليه حتى بمجرد
الاسم . وإذن فتقبل المأساة يركّز كله على ما يبدو خارج الجدران ، وكان
المشكلات الفادحة لاتنمو وتتعدّد إلا هناك . إن اهتمامنا يرادله أن يرتد
بشدة إلى ذلك المخلوق الذي يتراوح إدراكنا له بين إدراكنا للكائن
الحى ، وإدراكنا للشبح ، . والشاعر يقتبعه مستخدماً دائماً نفس الإشارة
الى ترشدنا إليه : « سيد صديق » ، وهى قيمة رمزية للصوت البشرى
المتوحد الذى يحاول فى رعب أن يعلن عن هوية ما ، أو أن يبلّغ
احتجاجاً ما . قل إن هذا الصوت هو رمز للاحتجاج الإنسانى ضد
الشقاء والانسحاق ، أو قل إنه محاولة يائسة تقوم بها الروح الإنسانية
المستوحشة لإقامة جسر بينها وبين روح إنسانية أخرى :

(سيد صديق)

الأمل يرأود شفة ذابلة الأوراق

صفراء ارتعشت فيها الكلمة

أن تسمعها

فتطير الأحرف .. تسبقها عين الأشواق

تبحث عن كوة حائط

عل عيوناً ترقد فيها

تنثقل فراشات الكلمات الحائرة بدون هدى

تمسح دمع مآقيها

وتبل صدى الأذن المملوءة أصداً حيرى

وعند هذه المرحلة يدخل الى التشكيل الفني عنصر جديد ، وهو عنصر يدعم الخط الاساسى للصراع ، ويقويه بحيث يدفعه خطوة في طريقه المرسوم . ويتألف هذا العنصر الجديد - على قصره - من ثلاثة أصوات أولها رجوع قوى الصدى للصوت الاصلى ، وثانيها وصف لإخبارى محاييد ، وثالثها صوت جديد يدخل إلى مجرى الحدث لأول مرة . وهذا الصوت الجديد يضيف بعدا يعمق به الموقف ويتقرر ؛ إذ يكشف عن عمق السخرية الكائنة فى العلاقات الإنسانية المتضاربة الأهداف :

« سيد صديق »

ويحرك وقع الكلمات حذاء الشرطى الحارس

- من يقتحم الجريمة ويحطم قانون الأمن ؟

ياسيدتى !

للقاء المسجونين زمن

ونداؤك يلفت ألف أذن

ويأتى اللحن الأخير فى القصيدة طويلا ممتدا تنصارع فيه إرادتان ، وبينما نتوهم للحظة أن النقد الاجتماعى سيتعلق بالشئ العادى الذى يحدث دائما فى مثل هذا الموقف ، وبينما يمدنا المقطع نفسه ببعض الإشارات الخاطفة التى قد تساعد على مثل هذا التوهم - مثل حديث العظيمة التى تلبس بها الشرطى - إذا بالحديث يتحول تحولا خطيرا فيطوق آفاقا مختلفة أشد الاختلاف ، ويكشف عن أبعاد جديدة من امتحان الضعف الإنسانى إلى أبعاد حد ، واستغلال الشقاء الإنسانى إلى أبعد حد . وصراع الإرادتين

في هذا المقطع الطويل متداخل . وكل إرادة تتبع أسلوبها الخاص بها ؛
فالختل والحداع الرخيص في جانب ، والحيلة الغريزية والمرارة
المقطرة ، في جانب آخر . والأسلوب الشعري يتراوح بين الوصف
- الذي يتذبذب في أحيان قليلة على حافة السرد - والحوار الجدير ،
والتعليقات الصامتة التي تقدم البعد غير المنظور للحدث كله . وأخيراً
تبقى لنا ، في ختام اللحن ، المرارة وحدها ، خالصة ، متغلغلة ، يتزايد إحساسنا
بها حتى يطغى على كل شيء سواه ، وحتى يتجسم لأعيننا جدار خفية
الأمل المصمت الذي تجسم لأعيننا في كل من قصيدتي « السابعة دائماً ،
و « قالوا مات ، . ذلك الجدار الذي يتركنا نهياً للإحساس بالإحباط
السكان ، والمتوقع ، بل والحتمى ، في محاولة النفس الإنسانية البحث عن
طريق مفتوح للخلاص :

ويسيل لعاب عيون مسيلة الجفن

وأمد يدي أبحث عن عظمته

ألهي الشرطي بها

وعيون تتبع وقنع يدي

وعيون داست في نهم جسدي

« الصدر . وما في الصدر .. نهم ! »

ويسيل لعاب

وتحرك فيه الرغبة بسمة ذئب

ترسمها شفة صفراء

ياسيدي :

زوجك .. أصنع عيني مصباحاً له
إن بخل المسجن عليه بضوء !
وأقدم أنفاسي الحررى
إن بخات حجرته بالدفء
من أجل الصدر .. وما فى الصدر
لم تشبع بالعظمة .. تطمع أن تقتات اللحم ،
سيد صديق ،

والدمعة تهطل فوق الخد
قد كان العش بلا أسوار
يحميه الشرطى من اللص
من يحمينى من نهم الشرطى اليوم !؟

إن خيبة الأمل التى تشيع فى غالبية قصائد هذه المجموعة ، والتى ظهرت واضحة ، بصفة خاصة ، فى القصائد الثلاث التى حملتها بشيء من التفصيل فى الصفحات السابقة ، لاتعنى عند النظر المدقق نزعة تشاؤمية لدى هؤلاء الشعراء الثلاثة . أن النزعة التشاؤمية غالباً ما تنتهى بسلبية تعجز عن تشكيل مثل هذه المواقف الديناميكية ، التى تحفل بها القصائد السابقة ؛ إذ يسقط الشاعر معها فى حفرة اليأس ليغنى أغانيه السوداء . إننا هنا نواجه موقفاً آخر ، نواجه الروح الإنسانية الجمور التى تقدم على تعرية الواقع ولا ترضى بخداع النفس ، أو خداع الآخرين . وهى إذ تعرى هذا الواقع تختار من الأحداث الإنسانية ، والمواقف الإنسانية ما يكشف عن الحيوية العميقة ، بل والإيجابية العميقة ، الكائنة فى هذا الروح الإنسانى ،

والتي تشير إلى أنه على الرغم من أن الدائرة مغلقة ، وخيبة الأمل مكتملة ، فإن محاولة هذه الروح كسر حاجز الإحباط ليست عرضاً من الأعراض بالنسبة لفعالية هذه الروح ، بل إنها في الواقع جوهر هذه الفعالية ونسرها . وهذا يدل على أن هذه الروح - لا بد - واجدة طريقها . وتلك هي النقطة التي تجتمع لديها الاضداد ، يلتقي عندها خيطا الظلام والنور . وإذن فالظلام لا يمكن أن يكون مؤبداً ، وإلا فما معنى استمرار المحاولة أصلاً ؟

إن الإيجابية التي تتقنع بقناع السلبية ، والاكتراث الذي يأخذ شكل اللامبالاة يلتزمان وراء الأحداث المرة . وتصوير المعاناة الإنسانية والشقاء الإنساني في صورتها المختلفة هو وسيلة الشاعر القديمة — الحديثة ، التي يستخدمها لتعميق الإحساس بجوهر الإنسان ، وللإسهام في زحزحة الصخرة الرهيبة التي تجثم على باب مستقبله ، بغية فتح نافذة مضيئة في جدار الحاضر المصمت .

محمود الربيعي

المجموعة الأولى
تسامد طاهر

الطريق إلى الكامة

سبعة أعوام
وأنا أمشي في الطرقات الليلية
أتجنب وقع الأقدام
تصفعني الريح الشتوية
أتمش فوق الدرب
يا ساحرة العينين .. بحسبي
أني ودعت الأهل ،
خلصت إليك بحسبي
قدّمت هدايا قلبي
هانت في عيني الدنيا .. من أجلك !
وأظل على أمل اللقاء أمشي ..
يا روعتها لو تصبح يوما بين يدي
طبعة أدعوها ، فتجيب !
عبثاً أبحث في جوف الظلمة عنك
عيناي على كل الأبعاد خيوط رجاء
صدرى يلهث
نعلو بين حناياه الأصدا
قلبي يهوى في قاع ممتد

« أَخْلَفْتُ الْمَوْعِدَ ! »

* * *

وأعودُ
برأسي طائفة المهزوم ،
أعودُ
وفي جسدي رعشات الحمى ..
عرقٌ باردٌ
أصوات شوهاة بلا معنى !!
أنغام تشابك في غير نظام !!

* * *

ويجئ اليوم التالي ..
فإذا قلبي في الطرقات الليلية
يتجنب وقع الأقدام

يناير ١٩٦٤

الحب والأشياء

.. وأمام الواجبة المملأى فساتين الصيف ،
وأشياء الزينة

كانت تتوقف عينك على ثوبٍ مُلْمَعٍ
في زاويةٍ ملعونه !

وتشدّين بكفّيك ذراعى :

— ما رأيك ؟

— لا طعم له !

ونشقّ زحام الناس ،

نشقّ زحام الناس بخطوات مطعونه !

* * *

وعلى د الكورنيش ، الممتد

كنا نمشى ساعات .. لانجهد

ونحاول أن ننسى لون الفستان

فنقول كلاماً حلوا .. عن غدنا المفروش بوردة

وكثيراً .. ما كنت تغنين قصيدتى الأولى

تلك الكلمات الخجلى

عن عينيك ،

وأشواقى ،

وليالى السهد

فإذا جاء الليلُ رجعنا
أقسمنا أننا أروعُ من هذى الدنيا
ليشلى ..

* * *

والخُدُّ على الخُدِّ
كم من صيفٍ وَلَّى ۱۱
واليوم أعودُ إلى واجهة الأمل
في جيبي ثمنُ الفستان
عيناى عليه ۱
لكن ذراعى مرخاه
مرخاةً .. فى يأس ۱

اكتوبر ١٩٦٤

السابعة دائماً

« يوم كامل في حياة موظف صغير »

يدق المنبه في السابعة
فأفتح عينيّ من حلم ليل ثقيل
وأسحب من تحت بابي الجريدة
فتمسحها نظرة خاطفه
يحدّثني الحظ عن صفقة رابحه
وأني أوفّق في جانب العاطفه
ولكنني أحمد الله
حين أشد قيصي فألقاه ..
لم تنسخ بعد .. يا قطة الناصعه !

* * *

أجىء المحطة ،
أحشر نفسي بين الزحام ،
أدافع رائحة الواقفين ،
أفكر كيف تسير بنا المركبه ١٩
وحين تلوح .. أهبّ بكل اندفاعي منتزعا مقعدا
وبينا أعالج أنفاسي المجهده
أشاهد جارتى الجامعية تصعد

هائلة ، وادعة !
على صدرها تستريح الكتب
وفي شعرها وردة يانعة
أسارع أمتحها مقعدي ،
لتمنحني بسمه رائعه !

* * *

وفي د المصلحه ،
أعيش بكفى ، وعينى بين الدفاتر .
ليس لهم غير هذا لدى !
مئات المطارق فى الصدر تهوى على كل حلم جميل
ويخفق أن دينى ثقیل
خطاب أبى عن ضرورة إرسال بعض النقود .
حزائى الجديد يؤجل للمرة الرابعة !

* * *

أحبك يا قاهره
أحب شوارعك الواسعه
أحب ميادينك الفاخره
مقاهيك .. نسوتك الفائنات ،
يضيقن خطواتهن ، ويفرق منهن أغلى العماور
أحبك .. لكن رأسى يدور !

* * *

مع الليلِ
تأوى خطاى إلى الحجرة القابعة
عشائى خبز وجبن !
وبعض الفواكه .. آكلها قارئاً فى كتاب عن الحب ،
أو عن مغامرة ضائعه !
يغالبنى النومُ ،
تضبط كفى المنبّه .. للساعة السابعة !

يولية ١٩٦٩

كلمات للأرض

بخفقة العروق ، ملء الساق والذراع
بلهفة الضلوع للحريز ، والمتاع

* * *

بكل ما أودّ أن أقوله ، وأستحي
لأنه يسان دنما بقاع القمح

* * *

هذه جوعى الطويل ، حاجتى إلى الشراب
وجئت .. يستثيرنى إليك طائر الشباب

* * *

أمنيتى : أقبّل الرخام ، ألمس القمم
أدفن فى ترابك القدى ماسة الألم !

* * *

سيدتى .. ألقيدى فى اليدين ، والهوى هوان
لكنى أظل من رؤاك فى افتتان

* * *

يهرني صباحك الغني ، والمساء
منسلاً على ، والريـح ، والعراء

* * *

وكل ما ينـام في الجفون من فتور
والهني ! أدفن في حماه قلبي الصغير

* * *

كانما خلقت لي مقبرة ، ومهد
أزهد فيك ، ثم أستجـديك بعد جهد !

مارس ١٩٦٩

الرسالة والسكين

رسالة من جيلنا الحزين
سار بها إليك شاعر حزين
مر على حطّين
في صدره سكين
في ظهره سكين
وعندما ارتقى بظل قبرك الشاهق في دمشق
تساقطت من دمه الحروف مُرّة الصدى ، مخدوشة الرنين
• القدس ضاعت يا صلاح الدين ..
• القدس ضاعت يا صلاح الدين ..

* * *

القدس أصبحت أسيرة لهم
جارية لهم
يجرجرونها مع الصباح تملأ الجرار
وفي المساء ينزعون عن قوامها الإزار !
ويرقصون
في القدس يرقصون !
على رخام • الحرم الشريف ، يرقصون !

* * *

ونحن يا صلاح
تأكلنا الجراح
تجلدنا الرياح
تلفظنا الأرض ، وتجذب السماء ثوبها من يدنا
فما الذى ضيّعنا ؟
يا الله يا صلاح قل لنا ؟
يا الله يا صلاح !

* * *

كنتُ سكتٌ حين أطبق النبا
لأن قول الشعر فى مواقف الآسى مخادعة
لكنتى أدركت أن الصمت ليس يُطفى الظما
وأن بعض الحزن لا يزول عندما تقاومه
بل حينما تقذفه صدورنا ..

* * *

يا صرخة البئر التى كشوة قاعها الصدا
تجمعى ..
تجمعى وانطلقى
فقد يحرك النداء هداة الحصى ، ويُفزع الحدأ

* * *

يا عصرنا المقامر الذى يلف ليلته صباحه
أعطيك عمرى ..
ثمنا لساعة أعيشها فى الدفء والصراحة
الكلماتُ خادعة

النظراتُ خادعةُ
حتى انحناءُ الرؤوس .. خادعه
لا شيء غير الموت يصدق الجميع

* * *

يا سيدى ..
صلّيتُ قبل أن أزور مسجدكُ
وكنت قد غسّلت بالدموع خطوتى ، وقلتُ :
« ربما تسمعنى ! »

لكنّ بابك الكبير صدّنى
أطلعنّى على ضآلتى
أسكننّى !

* * *

« ملعونٌ من يتكلّم .
ملعونٌ من يصرخ بالحكمة فى الأسواق ،
ويستجدى خبز اليوم
كُنْ فِعْلاً .. لا كَلِمَةً
كن لله .. يَكُنْ لك ،

* * *

وعدتُ يا صلاحُ
لجيلنا الحزينُ

أحمل دفة الصوت ، والرنين

من قائدٍ حزين

ينتظر الصباح مثلنا .. سحائباً ، سحائباً من المضر

تسقط في القيعان ..

تطهر القلوب .. قبل ان تُطهر الحُفَر !

يناير ١٩٦٨

صور

هذا الذى تَهَدَّلَتْ غصونُهُ على طريقنا
وانسحقتْ زهراته البيضاء تحت خطونا
وبعثته الريحُ ..
بعثته الريحُ فى طريقنا !

* * *

هذا الذى يجعلنا
نسكتُ أحيانا ، ونستلذَّ صمتنا
ونلتقى ، فتجمدُ الأنفاسُ فى صدورنا
ونرتقى على الرماد جذوتين
باردتين .. ماتَ فيهما بريقنا

* * *

هذا الذى ينسلُّ فى عروقنا
إذا تعانقت فجأة أعيننا !

* * *

هذا الذى تُنكره وجوهنا

تخفقه كلَّ لقاءٍ بيننا
هذا الذي يُثقلنا !

* * *

صديقتي ..
نحن ضحايا لعنةٍ كبيرةٍ تتبعنا
تجعلنا مشردين دائماً ..
وجائعين دائماً ..
لكنها ..
ما اصطدمت يوماً بكبرياتنا !

فبراير ١٩٦٩

النار المقدسة

فجأة تنحسر الموجة عن شاطئ عاز بلون الزبد
ثم تمتد إليه نظرة من عيون الشمس ، والرمل يندى
فإذا اللؤلؤ حبات سنا تتلاقى طيِّعات بيدي !
وإذا الأفق غناء وصدى وإذا الرعشة ملء الجسد ..

* * *

وأخطو حافي القدم
بصدر خافق عاز
أضم شوارد الألم
على جسر من النار

* * *

بحق هواي لا تعطيني الشيء الذي أنشد
وكوني دائماً أبعد
من السكف التي تمتد
من الروح الذي يصعد

* * *

أَفْضَلُ أَنْ أَظِلَّ أَمَامَ قَصْرِكَ .. غَاثَ الْعَيْنِينَ
أَسْتَجِدِي ، وَلَا أَدْخُلُ
وَأَذْنِبُ ثُمَّ لَا أَقْتَلُ
وَأَحْرِقُ فِي انْتِظَارِكَ عَمْرَى الْمُخْضَلُ !

* * *

أَعْيَدِي فِي دَمِي الْوَهْجَ الَّذِي يُحْرِقُ
وَضَمِيمِي .. فَقَدْ أَصْبَحْتَ نَتْلَ الثَّلْجِ ،
لَا أَرَوِي ، وَلَا أَغْرِقُ !
فَقَدْتَ هَوِيَّ ، حِينَ أَفْتَقَدْتَ عَذَابَكَ الْمَرْهُوقِ
وَأَظْلَمَ تَحْتَ عَيْنِي الطَّرِيقَ ،
وَلَمْ تَعُدْ أَحْجَارَهُ الصَّمَاءُ تُسْتَنْطَقُ !

* * *

وَكُنْتُ إِذَا مَشَيْتُ طَرَحْتَ أَسْئَلِي عَلَى الْأَشْيَاءِ
لِمَاذَا ؟ كَيْفَ ؟ أَيْنَ ؟
وَمَنْ وَرَاءَ سَكُونِكَ الْمَطْبُوقِ ؟
وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ النَّاسَ أَسْأَلُهُمْ فِي مَلَايَحِهِمْ عَنِ الْمَطْلُوقِ
فَصَبَرْتُ الْيَوْمَ لَا أَمْشِي .. وَلَا أَسْأَلُ
وَنَامَتْ أَعْيُنُ الدَّهْشَةِ
هَدَأَتْ .. سَنِمْتُ مِنْ تَوَمٍّ بَغِيرِ أَرْقٍ !
صَبَحْتُ أَمَزَقَ الْجِلْدِ الَّذِي غَطَى دَمِي فُجَاءَهُ
وَطَوَّحَنِي لِإِلَيْكَ الشُّوقُ
رَفَعْتَ شِرَاعِي الْمَطْبُوقِ

وضعت القلب فى الزورق
رحلت إليك أزجى عصرى الباقي :
هدية عاشق مرهق
فلا تدعى يدى . .
مدى لها منديلك الأزرق

ديسمبر ١٩٧٣

مخططة وجعل على الباب الأخضر

د الباب الأخضر . . يطلقه المصريون
على باب جاني لمسجد الحسين بالقاهرة ،

معذرة . . ياسيدي الحسين
إذا طرقت الباب مرتين
وعدت من تجوّلتي بخرقتين
أمسح بالاعتاب قبلتين
أريح أضلعي ، ولو للحظتين . .

* * *

هذا البساط والرخام ، والشموع
موائد . . تنثال نحوها الجموع
خطى ، وأذرع ، ولهفة ، وجوع
وأنت دائما تقول للجميع :
« مَنْ قَصَدَ السَّكْرِيمَ لَمْ يَضْعَعْ ،
فَهَلْ أَضْيَعُ ؟ »

* * *

يا سيدى
الصدت مر
كالموت مر
فلتتكسر لديك هذى القدر
ولتشهد الجدران أن عاشقاً سكر
غالبه الوجد ، فقال كبتين
يا سيدى الحسين

* * *

لا الوقت يسهب المنى ، ولا المكان
ودون ماء النيل - يلث العطشان
وقد عرفت أنت ذلك الحرمان
حين يكون الموت فى المقدمه
حين يكون الموت فى المؤخره
بالله كيف تعرف الأمان
أو تغض الجفنين ١٩

* * *

وكننت قد رفعت السماء .. شراع زورق
وحين جدّ فى اندفاعه بلا تمزّق
أهبت بالأمواج :
« ذغردى ، وصفق ١١ »

فاستشرفت من قاعها الحيتان
والتفتت لصيحتي المظلمة
وكدت أوقف الزمان
لكن فجأة .. رأيت زورقي يدور في الرياح ،
يرتمي على الصخور قطعتين .. قطعتين
يا سيدي الحسين !

* * *

حملت قلبي المكسور .. عدت للمساء
أعصر الحزن بكبرياء
أنشد بين اليأس والرجاء
أغنية .. مخدوشة الصدى ، وأسأل السماء
أن تمسح الجراح بالمطر
أن تملأ الطريق بالنجوم ،
أن تبارك الجبين مرتين
يا سيدي الحسين !

* * *

دون منأى .. لم يزل كثير
ولم يعد في الطوق أن أسير
أقعدني الحزن عن المسير
وشفني الظلام ، والهجير

وحينما .. أبصرني على الطريق
منكشفاً .. منطقي البريق
يغوص قلبي ، ويدق دقتين
يا سيدي الحسين !

* * *

هنا .. تطيب روعة الندم
هنا .. على يدك يصهر الألم
هنا .. يعود للضلوع ذلك النغم
يهز قلبي ، ويشير أدمعي
فستجيب دمعتي ، دمعتي
يا سيدي الحسين !

أغسطس ١٩٦٩

الذئب لا يعود

نُطْرَقُ .. حين تلتقي عيوننا
لأن ذلك الذي كاد يكون بيننا
من قبل أن يولد مات
كفّته الصمت ، فسار ذكريات

* * *

في الليل ..
عندما تنام الريح
وتنطفئ الشموع
تشتعل الضلوع بالآلم
وترقص الأحزان في جنازة الندم
حتى إذا ما انكفأت على تراب اليأس ،
أطلقت دموعها !!

* * *

لكنني حين أراك تقبلين
أزرد الحزن ، ولا أبين

لأن ذاك الحزنَ لو أطلَّ .. كنتُ مجرماً
أحمل في أصابعي دَمًا !

* * *

فلتفترقْ بنا الطريقُ
ولتذهبْ المُنَى .. إلى الجحيمِ
فَحَسْبُنَا ..
أَنَّ لقاءَ صاخباً يظلّ بيننا
يُضَارِقُ .. حين تلتقي عيوننا

فبراير ١٩٧٠

الزيارة

ما توارى من زمنٍ
لكنني في هذا اليوم
لا أدري ماذا يدفعني لزيارتهم
أخرجُ بين قبورهم الصمماء
أسمعُ بعض الأصداء
يسلمني خطوى للأكفان الرطبة
ألمسُ جثث الذكري ..
أمسك بالأشلاء
تصحو كنيّ الأشلاء
تتحرك .. يجرى فيها الدم
أسقط بين الواقع ، والوهم

* * *

كانت خطواتي ، حين أسايرهم ، نغمًا يزهر فيه الصوتُ
صارت خطواتي يابسة ، وامتد خريف الصمت

* * *

كان خيالي مشبوباً ، يتعلق بالشَّحْب ، وينفذ من أبواب الجنَّة
صار خيالاً مشلولاً ، يتعثّر بالأحجار ، ويسكن حفر الأرض !

* * *

بصرى كان أحَدٌ ، وعيناي تجوبان سماء الأمل ، ومملكة الشمس
صرت ضعيف البصر ، أحرق تحتي في طرقات اليأس

* * *

كان لروحي إشعاعٌ ، وبنفسي شوق المجهول
جفَّ الشوقُ ،
إنطفاً الإحساسُ ،

تهاوت أجنحةُ النفس

* * *

لم أبك عليهم حين مضوا ، واحتبست عيناي الدمع
لكنني في هذا اليوم . أناشد دمعى أن ينفجر مثل النبع

* * *

لم أرفع منديلي ، وقطارهم الراحل يبعد في الأفق الممتد
لكنني اليوم ألوح بالمنديل ، وأثر باقات الورد

* * *

لم أفقد وعي ، وأقبّلتهم مثل البعض
لكنني أعصر شفتي الآن على آثار خطاهم فوق الأرض !

* * *

ماتو من زمنٍ
لكنى فى هذا اليوم
جمعتُ حصادَ الموسم ، وخرجتُ إليهم
أشكو جذبَ قلوب الناس
أخبرهم .. أن عيونَ الصبح زجاج ،
ووجوهَ الصبح نحاس !
أخبرهم ..
أنسى بالمال ابتعتُ الحب ، وفى الغربة بعثُ الإحساس
أخبرهم ..
أن الوحدة قاسيةٌ ،
قاسيةٌ حين يحطّ الليلُ ، وتغوى الريحُ ،
ويخلو من قنديل الزيت
أخبرهم ..
أن الدفء لدى الأحضان الأخرى دَفءٌ كاذب
تجمّد فيه الأطرافُ ، ويرتعش القلبُ المبتلّ
أخبرهم ..
وأحاول أن أسمع منهم .. أنصت
لأشياء سوى الصمت
عجباً !!
كانوا أحياء بكفى الآن ، فما بال النبض خَفَتْ ؟

* * *

أرفعُ رأسي
أنفضُ عن كتفيّ تراب القبر ،
أقوم .. وفي صدري رائحة الموت !
رائحة الموت !
رائحة الموت !

يناير ١٩٧٢

تحياتي إليهما

تحياتي لكل شاعر أحبّ شاعره
وذوّبها هواهما على وميض مجمره
دخاما قصائد شجيّة معماره
ونارها رطيبة من الحنان .. نيره

* * *

خطاهما إلى اللقاء أغنيات فبّره
ويجلسان في حمى لبلاية مخضوضره
يسائلان : كيف فجّر الغرام أنهره ؟
ومن سعى إلى الجمال في الدُّنا ، وأظهره
ومن أقام للنوى هناك .. ألف مقبره ؟
كأنها شواهد على الأسى .. مبعثره
تلوح خلف واحة الحياة .. كما شره !
ويسكتان ساعة طويلة مفكره
تفلسف الوجود .. تستشف منه جوهره
ويرجعان بعسدها خواطرا محيره !

يتمتman في حياء غادة مخدّره !!
ويكشفان عن لبيب لطفة مسعّره
تسير في الشفاء رعشة .. تسير بجهره
فيسمع السكون قبله نرن مسكره
كأنها ، ن الخلود لحظة مقدّره !

* * *

وفي الوداع يمزجان أدمعا معبره
وينفشان لوعة ، وينسجان معذره

* * *

تحيّتي إليهما .. تحييه منضّره
أزفها عواطفا من الفؤاد .. خيره
تذوب في هواهما .. وتستميح مزهره
فكم وددت أن أعيش سحره ، فلم أره

أكتوبر ١٩٦٤

المساء الذي ألعنه

لا الدمع فاض حين لفنى النيا
ولا التوت فى الحلق لسعة الظما
ولنما . . وجدت كل شامق أمام ناظرى ينكفى

* * *

وكنّت يا مساء قاسيا ، لا قلب لك
ضممتها بدون رحمة إليك
وكنّت عاندا لها بأطيب الحديث عن نهارى الطويل
ما أظلمك !

دفعتنى عنها ، كأنما أنا . . لست ابنها !
جذبت من يدي حنانها
تركتنى بغير لون . . حينما أطفأت لونها :

* * *

أجلس بعد الظهر . . عند عودتى
منتظرا سؤالك الحنون :
هل أكلت ؟

فتعبر الساعات فوق جبهتي

ولا يهجيء صوت ١١

* * *

وفي الصباح ، عندما يشدّ نظري سريرك القديم

في ذلك الموضع . . حيث كنت تجلسين

وترسلين لي تحية الصباح

مغسولة بالحب والحنين

تراك أين الآن تجلسين !

تراك أين الآن تجلسين !

* * *

لكم صرخت بالقطار أن يعود . . أن يعود

لكنه انطلق

مخلفاً ندائى المبحوح

يضيع في الأفق

يولية ١٩٧٠

ميتلا وأربع قطط

الليل يسقط فوق شارعنا القديم
والعائدون إلى منازلهم معاطف مثقلات
حملت من المطر الكثير ، وأوحلت أطرافها المتمزقات
وخلا الطريق . .
لا شيء غير الصمت ، يقطعه رذاذ الماء من وقت لآخر
وكما تهزّ الريح شباكى ، فيعوى من تماسكه العميق
مادت هنالك خلف صندوق القمامة قطعة عجفاء
وتمرغت في الوحل ، وانتفضت من الأنواء
وامتدّت في وجه المساء تمزّقُ البرق المضيء
أسلاك نار تخطف البصرا
وتشع تحت سناه عينا القطعة السوداء
نظراتها المترنحات ، وصوتها المتقطع
وعلى القمامة أربع
عمياء . . تبحث في صقيع الليلة الحقاء عن ثدى دفى.

وتسوخ في الأرواح ، ثم تعود تنكفي . .
صرخاتها المتلهفاتُ تذوب في وقع المياه
« عودی بنا أماء . . .
« عودی بنا أماء . . .

* * *

الليل يمضي مثقل الخطوات ، معصوب الجبين
والفجر مرتعش ، يحاول أن يبين ، ولا يبين
والقطعة العجفاء ذاهبة تفتش عن لقيمه ا
« رباه . . كل الدرب أوحال ، ولا ظل لشيء
والناس ما زالوا نياما ، والقمامة موحله
حتى القمامة موحله ا
وجرت بعثرة . . تسائل كل زاوية وركن
وتقلب الأحجار لاهثة ، وتعدو مسرعه
« الجوع يفري . . والنهار
سيجىء بالأطفال يعتصرون أمعاء الصغار
ولكم نفسنخ تحت عينيها صغار ا ا ،

* * *

عادت ، وقد طلع الصباح ، وشقت الشمس الضباب
لترى الصغار على القمامة ، والرصيف مبعثرين
الوحل في الأفواه محشو ، وفوق رؤوسهم متكؤم

وعلى محاجرهم دمٌ !
وتحسست أجسادهم ، فبكّت ، وماءت ، وانثنت
للشارع المسدود . . تعبره ، وتسمع في مداه
صوتاً يدافعها صداه

« عودی بنا أمّاه ! »

« عودی بنا أمّاه ! »

يولية ١٩٦٦

أولى كلمات الحب

أيها التاج على مفرقها من ترى يملك قلب الملكة ؟
إنها تخطر لا تعرفنا نحن من نملأ أرض المملكة !

* * *

قل لها يا تاج : ماذا لورنت ؟ من سماها للعيون المعجبه !
ربما باحت لها واحدة بالذى فى نفسها المضطربه .

* * *

قد تراه عاصفاً ملتتهياً غير أن الحب فى مرجه
ظامى للباء . . يحيا أملا كلما لاحت رؤى منهله

* * *

آه لو تصدق أطباف المنى ويدق الدار إنسان غريب
عمره بعض نجميات ، وفى صدره الخفتاق أشواق حبيب

* * *

لا تقولى : ذلك الشجر كلام كل ما فيه رنين النغمات ! ،
إنه روحى ، وقلبي ، ودمى مسّت النار ، فصارت كلمات

* * *

اسمعيها أحرفاً لاهثة تتلوى بين يأس وأنين
شبهات زحم الليل جوى أغنيات بعض ما فيها حزين

* * *

سوف تغدو كلها راقصة يوم تحنو نظرات المملكة
لأنها تخطر لا تعرفنا نحن من نملأ أرض المملكة

أكتوبر ١٩٦٤

مقطع من قصيدة لقاء

تعود الشمس للأفق الكئيب إذا رجعت
وتفتح الزهور على طريق .. إن طلعت
ويبعثنى لقاءك طائراً يعلو بأجنحة
عن الآلام ، والأحزان ، والموت
وحين تضمنى عيناك ..
سوف أحطم المجذاف ،
أخرج من سكون البحر أغنيى

* * *

د حنانك .. بعد هذا الشط ، لن يمتد لي أمل ،
ولن أرقى بأمنية !
كفاني أن دفء الحب فيك ،
وأنت .. أنت !

مايو ١٩٦٩

مخاوف الماتيتي والوداع.

لم تعد غير دقائق
ويشد القدر الساهر شباك القطار
نازعا من حبة القلب نشيدا ، ودما
تاركا فوق الرصيف الصلد وجهاً معتما
وذراعا .. ربما تشجبهما الريح ، فتبقى ..
في طريق الريح شيئا مبهما ..

* * *

ذلك اليوم الذي ضمّ خطانا
لم يكده يجمعنا المجلس ، حتى دقت الساعة خمسا
وتلفتنا إلى الناس ، وقتنا
لم نكن ندرك أن السر في الأرض ينام
ثم يمتد ، وينمو ..
كلما عانق تحت الأرض نهرا
أرضي الخصلة لم تبخل على السر بأعصاب تراها
منحته روحها المشبوب ، وانسابت به ، تنفخ فيه

أصبح السر جنينا
يرقب المولد في شوق ، ويهفو ..
كلمات عانق في عينيك موالا ، وديع الكلمات
وملد السر ، فأت !

* * *

د احملاوا الجثة من تحت القطار .. ،
ويهن الحارس الليلي أكتاف
— ماذا تنتظر ؟
— أنا لا أعرف ماذا أنتظر ؟
كان شيء في يدى الآن ، ثم انطلقا ..
كسنت أدرى أنتى أعرف كنزا ، سيضيع ..

* * *

أيها الحارس ، إني أعذر !

مارس ١٩٦٧

السقوط من اجبت

تركت عيوننا تبصر
فأغریت الفروع السود أن تخضر
وتنبض في الثرى الغافى عروق النهر
وقلت لنا :
« إذا فاض الهوى .. بوحوا »

فمزقنا ضلوع الصدر
وحاولنا ..
فلم نقدر !!

* * *

لماذا قدّمت كفافك حب القمح للعصفور ؟
لماذا شع من شفتيك هذا النور ؟
لماذا كنت أهدأ ما يكون البحر .. حين كسرت مجدافى ؟
وخضت إليك ..
أحمل في حنايا الصدر لطفة جانع ، عطشان
براعم .. لم تكن خضراء : أنت رويتها بالعطف !

وحين تبسّمت ..

مزقتَ بسمتها بحد السيف !

* * *

لماذا كنتَ تتركني أقول الشعر

ويومَ طرقتَ بابك صدني سور ، عميقُ الصخر

جعلتَ لساني المشلول يلعن ، لعبة الأقدار ،

تركتَ أصابع الأحزان تخنق في دمي الأوتار

رجعتَ كأنني عود من الصبّار

تدافعني رياح الليل ..

تقذف بي لآلف طوار !!

* * *

أحاول أن أصبح اليوم :

« كيف تركتني ، ومضيت ١٩ ،

فتجمد صرختي ، وأحسّ في رثيّ طعم الموت

وأبسم في الوجوه ، لعلني أبدو بلا أحزان

ولكن الأسي يطفو ..

فيمسح هذه الألوان !!

ديسمبر ١٩٦٧

الرحلة إلى القصر المجهول

الليل ساكن سكوت قدير
والريح في جوانب المكان ميتة
ولم يعد سواك من عشاقها الذين هاجروا
يزور هذا القصر
مغسولة عيناه بالدموع
وفي يديه باقة من زهر

* * *

لا تفتحوا الأبواب ..
حسب القلب أن يطوف بالأركان
لا توقدوا الشموع ..
حسب الكف أن تلامس الجدران
لا ترفعوا أصواتكم ..

دعوا اليمام راقدا ، واليوم في أمان !

* * *

وعندما يجهدك الدّوار ترتّمى . .

على رخام المدخل العتيق

حيث يلف الخيط ألف عنكبوت

حول ضلوع صدرك الرقيق !

* * *

يا نجمة ساهرة في آخر المساء

تلمّ ضوءها على امتحياء

لو لحظة بقيت حيث أنت . . واقفه

أخرجت ما في القلب من أشياء

بحت بسر ذلك الوفاء !

اسكنني أراك تذهبين

يفزعك الفجر ، فتسرعين

إلى اللقاء يا صديقتي . .

إلى اللقاء ! . .

* * *

لكن . . إلى متى يظل هكذا بلا قرار

ندواك الذى يعانق الصدى ؟
وهل تلوح الشمس فى المساء مرتين ؟
لكى تعيش خلف وهم قلبك العنيد
منتظرا . . أن يرفع الموتى رؤوسهم ،
وأن تصافح الأحياء . . من جديد !

أغسطس ١٩٧٠

اذكرني

اذكرني . . كلما طافت على الدرب سحابه

اذكرني . . كلما أنّت مع الليل ربابه

* * *

اذكرني . . كلما شاهدت في البحر شراعا

اذكرني . . كلما لوّحت الشمس : وداعا

* * *

اذكري هذا الصدى الخافت ، والوجه النحيل

اذكري هذا البريق الحر ، والصمت النحيل

* * *

لم يسكن شعري سوى فيض أحاسيسي وجي

فاذكري أروع ما قالته عيناك لقلبي . .

* * *

أنت . . يا من بدأ العمر بتاريخ لقائها

اذكري أول حرف مزّق الصمت ، وفاها . .

* * *

كان سرا في ضمير الغيب ، مسجوناً بوجده
فاذكرى يوم تلاقينا على تحطيم قيده

* * *

واقتربنا . . ظلماً الغربة في أعيننا
فاذكرى كيف جرى النبيع رجاء ، ومنى

* * *

أن يسير الموج هوما : ليس في قدرة زورق
فاذكرى أن هوانا جاء . . والميناء مغلق

* * *

لا نقول : قدّر كان . . وما كان نصيب ،
نحن لو شئنا مسكننا الشمس ، أخرنا المغيب

* * *

أنا لم أطرق سوى بابك . . لم أطرق سواه
فاذكرى أنك دون القلب أغلقت الحياه

* * *

نحن في أى زمان ، كي تكونى لابن عمك
أىّ قربى .. تخنق البسمة من حلمى ، وحلمك

* * *

سوف يأتون إلى عرسك . . أفواجا عديده

ثم يمضون كما جاءوا .. وتبقى وحيداً !

* * *

أنت يا من أشعل الروح - لكي ترضى - شموعاً
سوف يمشى ليلتك الباردة سمعتاً ، ودموعاً

* * *

ودغد ، يأتى .. وما أسرع ما يأتى دغد ،
بطفيء الخضر فى عينيك .. يذوى الجسد

* * *

يرمها .. حين يراك الناس ذكرى باسمين
لن يرى حسنك غيرى

فاذكرينى ..

اذكرينى !

مارس ١٩٧٠

الوقوف في الريح

القادمون يسرعون دونما التفات*
والراحلون يسرعون دونما التفات*
ولم أزل هناك فوق ذلك الرصيف
منتظراً قطارك الذي يحىء آخر المساء
يمرُّ بي الصيف ويعبر الخريف
وينتهي الشتاء

* * *

عودت جبهتي على تحمل الهجير ، والصقيع
علقت ناظري على نوافذ المدى
وكلما سمعت وقع خطوك البديع
وكدت أرتمي من السعادة المفاجئة*
تلاشت الرؤى ، وأبعد الصدى . .

* * *

الريح تخطف المصباح من يدي
وليس في المكان من يثيره تفردي

أُمسِكْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي مَلَأَتْهَا بِذِكْرِيَاتِنَا . .
أَضْمَمَهَا لِأَضْلَعِي : وَاكْبِدِي !
وَاكْبِدِي !

* * *

الليل مثقل بالخوف ، والظنون ، والمطر
والسحب في جوانب السماء داكنة
تلف جهة القمر
أهتف يا واحدتي :

د أليس في النساء من تشابهك ؟
د نظرتها كنظرك . .
د مبسمها كمبسمك . .
د قامتها كقامتك . .
د وألتقي بها . . كما التقيت بك ؟ !

* * *

يغلبني البكاء
ليس في الضلوع شهقة ،
والجفن لا يدرّ
عقارب الساعة في محورها تكاد تستقر
والحرس الطائف عاد من دروبه ،
يزيح عن جبينه السهر

طلائع الفجر على ذوائب الشجر
ولم أزل هناك .. فوق ذلك الرصيف .
منتظراً قطارك الذى يحىء آخر المساء
يمر بى الصيف ، ويعبر الخريف
ويذهب الشتاء !

سبتمبر ١٩٧٣

وجبة في القاهرة

الصمتُ في دمي يتورُّ
كأسدٍ مأسور
تعثرتُ خطاه بالحبال
وهاجه الجمهور !

* * *

وحينما انكفأتُ فوق صدركِ الذي ينوء بالكثرة
وفاح شمعكِ الندى في ثنايا الريح
نفضت عن حقائبي جهامة السفر
وقلت : أستريحُ ، أستريحُ ، أستريحُ !

* * *

عيناكِ قصتان تبعثان النوم ، والسهر
قصيدتان تقطران وحشةً ، وأنسا
أغنيتان تعزفان الخوف ، والأمان
عيناكِ مسجد وحن

أفقد فيهما الأسي ، وأعبدُ الرحمان !

* * *

لو أن أهنياتنا تعيش بالنهار
كنتُ زَصَفْتُ من فرائد النجوم في يدك خاتماً ، وإسوره
أنيتُ بالهلال تاج عرس
صنعتُ من جدائل المساء كَلَّةً لنا
غزلتُ من رهافة السنن ، ورقَّة الشفق
ستائراً لعشنا !!

* * *

في الصدر شهقةٌ تودّ تنطلق . .
لكنها . . مكتوفةٌ بالخوف ، والأسي ، والانتظار
أيُّ هواءٍ فاسدٍ يخنقها ؟
وأيُّ جحفلٍ من الغبار ؟

* * *

بالرغم من دماثة الصيف ، وسحنة الخريف
ولسعة المساء في شتاء مصر
أدفنُ وجهي في يدك — يا حمامي — وأستطيعُ
أن أشهد الربيعُ

نوفمبر ١٩٧٣

المجموعة الثانية

محمّد حماسة عبد اللطيف



الحديث الأولى

فَقَسَّ شَتُّ كَثِيرًا فِي قَلْبِي ..
عَنْ كَلِمَةِ حُبِّ أَهْدِيهَا لَكَ
تَسْتَجِدِّي شَفِيتِكَ الْبَسْمَةِ
تَتَرَقَّقُ فِي رَوْحِكَ نَسْمَةِ
تَتَعَلَّقُ فِي هَدْيِكَ شِعَاعًا مِنْ أَمَلِ نَسْوَانٍ
تَسْكُبُ فِي طَيَاتِ الْعَمْرِ حَنَانٍ
تَجْعَلُ مِنْ دَرْبِكَ دَرْبِي
لَسْكَنَتِي لَمْ أَجِدِ الْكَلِمَاتِ
وَوَجَدْتُكَ أَنْتَ بِقَلْبِي
يَا حَبِيبِي
لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَنْ أَهْدِيكَ الْقَلْبَ ..
بَدِيلًا مِنْ كُلِّ الْكَلِمَاتِ .

في الطريق إلى حبيبتى

الدرب طويلٌ .. وأنا وحدى فوق الدرب إليك أسيرُ
والليلُ مدى .. وأنا أعتصر الليل رؤى .. أنفاسَ عبيرُ
أستروح فيها من ألمى .. من كدحى .. والأفق هجيرُ
فأرى عينيكِ الباسميتين .. الوادعتين كقلبٍ صغيرِ
بهما يُبحر زورق أحلامى غيمان الشيطان .. غريرُ
وأنا الملاح .. وأحبالى فوق الخدين سدول حريرُ
أنتلق فيها .. أهرب من ألمى .. فأظلل .. أظلّ قريرُ
في واحدةٍ أجلام بكر .. فى دنيا بالحب تنيرُ
حتى تدمى قدمى أشواكُ الدرب النابح كالمسحورِ
والدرب طويلٌ .. وأنا وحدى فوق الدرب إليك أسيرُ
القلبُ قطاةٌ فى صدرى دامية الجرح تودّ تطيرُ
تخفق .. تخفق فى جنبى كما دق الأبواب أسيرُ
تحلم بالعشّ الجذلان على غصنٍ بالحب نضيرُ
نحيا فيه عصفورين يضمهما فى الليل سريرُ
تخضر به الأشواق .. تبرعم .. تثمر عطراً وزهورُ

وأنا أجمع قشّ العُشّ الموعودِ بمنقار مكسورٍ
لكنّنى لم أفتر .. لم أفتر .. سأظل أدور .. أدور
أبحث عن شط الأحلام الغافى تحت خيوط من نور
أبى فيه العُشّ الجذلان على غصن بالحب نصير
والقشّ قليل .. لكن الحب بقلب العصفور كشير
والحب يدفى ما يعزى إن طار الريش عن العصفور
يا عمرى .. هل ترضين الحب .. لعل مهاد الحب وثير
إن أنت رضيت الحب فإن الدرب إلى عينيك قصير

مارس ١٩٦٥

محاولات قرب الشاطئ

ذات مساء من خمس سنين
ألقينا بسفينتنا من غير شراعٍ في بحر الحب
واستسلمنا للتيار
تدفعنا الريح الغضبي للوج الغصبان
فتعلمنا بالأقدار
والريح العاتية تقول :
ليس بجوف البحر حنان
ليس بجوف البحر حنان
لم يجرع منا قلب
إن مرة علينا ليل ضارٍ جاء نهار
فتورنا مرفأنا الغيان
واستشرفنا ربح أمان
ومن التجديف الضائع كادت أذرعنا تنهار
لكن . . . لم تذرف أعيننا دمة يأس
بل غنينا للأمل الوسمان فأيقظناه

ورميننا في وجه الموج الغاضبِ بالأحزانُ
وبإصرار الحب تحديناه
وجدنا من أحلامِ العمر حباً لا لسفينتنا
وغزلنا من قلوبنا أشراً يضاءُ
وبهتف الحب دفعناها فوق الماءِ
وبسحر الحب خدعنا الموجَ وداهنا الانزواءُ
وبنور الحب أضأنا الليل العاتق فأضاء
حتى ابتسم الشط النائي فعرفناه .
يا دنيای
هأنحن الآن على خطوات من شاطئنا الممتد
الريح تغارُ
والموجُ يُثارُ
أخشى أن تطغى الريح علينا فنعودُ . .
کی نبداً من حيث أتينا ذات مساءً . .
من خمس سنين ۱

مايو ۱۹۶۷

لكنائس

إلى متى سنغفرُ الأفواهُ
إلى متى لا نتطقُ الشفاهُ
إلى متى يضيعُ في مصاربِ الخيالِ
كلاؤنا !

إلى متى يضلُّ في الطريقِ
— كأنه أعمى بلا رفيق —
سؤالنا !

ونغفرُ الأفواهُ
ونحمد الحروف !

* * *

إلى متى نناصبُ الربيعُ
عداءنا
وننشدُ الحريف في دعائنا
وننفثُ الدخان في طريقنا
ونعملُ اللهب فوق دربنا الوديعة

وتسكب الدماء والعرق

جباهنا

وقلبنا الذى يكاد يحترق

لنطفيء النيران فى الطريق؟

لمكننا نسير لانهفيعي

تصافح الحياة

أكننا الراعشة العجفاء

ورجها المخضيب بالدماء

ومخفق الحمام

أصابع الزيتون

ونحن سائرون نفقر الأفواه

يقول خطونا المخوف لاوقوف لاوقوف

وبن الكلام

ونهرب الحروف

إلى متى يظل الحما على الطريق

تدوسه أقدامنا الثقيلة الخطى

لأنها معصوبة من أثر الحروف

ولاعند كفتنا ولو إلى الخريف

لنأخذ الأوراق

أو الدم المراق ١١
ونستر اللحوم بالأوراق والخضاب
ونمنع الذباب والكلاب
لكنتنا نسير
تبعثر الجراح كل خطونا
وننفث الدخان في طريقنا
وننظر العيون للوراء والامام
ونفخ الاقواء
ويحمد الكلام ١

* * *

يا اخوتي ..
أقولها من قلبي البريء
- وخاطري بحبكم يضيء -
متى أرى الحمام في غصونكم يشعشع المكان بالهديل
متى أرى الحروف في شفاهكم مخضرة تهزأ بالذبول
متى أرى النجوم في جباهكم مضيئة لا تعرف الا قول
لكنتما النجوم في السماء
ودونها مخاوف المساء
فلكم في حاجة لسلم العروج
وقبضة من الضياء ١

* * *

يا إخوتى ..
لسوف تزعمون أننى مخاطر جرى ..
لكنّ خاطرى بجهكم يضى ..
لو تكشفون عن قلوبكم !
وتفتحون للهوى صدوركم !
لسوف تصعدون للسماء
هناك تعلق النجوم فى جباهكم
هناك تخضر الحروف فى شفاهكم
تقبلون بعضكم
يعاق الربيع أرضكم
وتبرد النيران فى طريقكم
فتزلون .. تقرأون آية السلام
وتعرف القلوب والشفاه الابتسام
وترقص الحروف فى الكلام
يا إخوتى .. لو تفعلون !
لكننا نصير !
تبعثر الجراح كل خطونا
وننفض الدخان فى طريقنا
وتنظر العيون للوراء والامام
ونفجر الأفواه
ويحمد الكلام .

مارس ١٩٦٥

أُنَيْتُ الذِّكْرَ نَائِثٍ

كلما أطفأتُ في قلبي ضراماً

عادت الذكري فأذكنه غراماً

وسقته الدمع ناراً وهياماً

حرت في الذكرى وفي قلبي الحزين !

كلما - يا قلب - كففتُ الدموعُ

أشعلتُ ذكراك في الروح الشموعُ

وأسالتمها حينئذ في الضلوعُ

أكذا يا قلب تسكاب الحنين ؟

كلما أهدهتُ بالسلوان نفسي

وتناسيتُ الذي يحكيه أمسى

عدت في جنبي طرافاً بفأس

وسفحت الشوق مجروح الأنين !

أمسى الذأوى به حلم شهيد
صاغه الوهم رفيفاً من وعد
هل أعيش اليوم في الأمل الشريد
ويظل الأمل في عمري سنين !

في ظلال الأمل قد ذقت العذاب
وشربت الوهم من كأس السراب
حين رفّ الحب يوماً ثم غاب
في ضباب الحجر في كفّ الظنون

إني - يا قلب - قد صرت هسيماً
عينها الخضراء أصلته جحيماً
لم أجد - يا قلب - لي منها رحيماً
آه منها . . آه يا قلب الحزين !

أَيْنَ يَا قَلْبِي أَمَانٌ ضاحكات
وعهودٌ أبرمتها النظرات
هل توتت . . فاعصني يا ذكريات
واحفري في القلب ما قد تحفرين !

* * *

مارس ١٩٦٤

الزيتونى لعن يعقوب

لم يعد يوسف فى الحبّ فلا تلتظريه
غاله الذئب الذى كنت أخافه
غاله منك الذى حذرت منه فاندبته
واسألى هذا القميص

اسأليه !

دمه الطاهر هذا . . فأسأليه !

لا تقولى إنه كذب رخيص

فعلى كفّيك سال الدمّ سال

قبل أن يأكله الذئب على صدرك مال

لم تبالى ذلك القلب الصغير

يوم أدليت بدلوك

آه . . ياليتك لم تدلى بدلوك .

* * *

يوسف المحبوب لم يرتع ولم يلعب كما كان يريد

كم تمنّى قلب يعقوب المدعى لو يعود

قلبُ يعقوبَ أملتَه الأمانِ والوعودُ
عينُهُ أبيضَّتْ من الحزنِ ولكنَّ .. لَنْ يعودَ .
إنه يذكر حُلماً
قد رآه طفله المحبوبُ يوماً
يومها أوصاه : « لا تقصصْ لغيري رؤيتَكَ »
فيكيدوا لك كيذا ،
يوسف المسكين ماتُ
حين ذاع السر ماتُ
لا تظننَّ أنه بعد سنينٍ سيعودُ
حاملاً في كنفه الأيضامَ نصبَ السبيلاتُ
انفضى عن قلبك الغافى ترابَ الغفلاتُ
يوسف المسكين مات ١١

يونيه ١٩٦٧

قَالَوَمَا تَـ

العجلات تدرُّ . . تدورُ
ودخانُ أسودُ ما ينفكُّ يثورُ
الأوجه عرْق . . والأيدي ممدوداتٌ للتدور
واللَّقمةُ حرقى . . والعيش صراع ،
كلماتٌ في الصدر تمور
أحرفُها في الوجه تلوت بتجاعيد
وأخاديد . .
برقيد فيها العمرُ الذَّوَى نهب الخوف
نهب القدرِ الرابضِ في العجلاتِ ومعه السيف
آهٍ آهٍ لو يسهو !
القدرِ الرابضِ في العجلات كثيرًا ما يلهو
والموَالُ النابضُ بالأحزانِ على الشفتين
تنمطى كلماتٌ فيه تنادى الليلُ تنادى العين
تتلوَّى فيه الذكرى . . آهٍ آهٍ
يا لله . .
من أعوام . .

جاءته البشرى بـغلام
دارت مثل العجلات الأيام
يوم حلوه يوم مرّ

يوم خصبه يوم تحل
صار البيت خلية نحل
البيت .. البيت .. البيت !

سمّ الأولاد طعام الزيت
لعن الله الأزمات ،

دار الرأس مع العجلات
وانتفض على فزع صوت
احذر ..

احذر ،
واحترقت . صرخات !

يا لله !
ماتت في الموال التغمه
دُفِنَتْ في الشفتين الكليمه
واجتمعوا

خرست أسننهم .. دمعوا
رجعوا .. والحسرات
تقطر من أوجهم عرقا ..

قالوا مات ا
والأيدي امتدت للتنبؤ ..
والعجلات تدور .. تدور
واللقمة سحق والعيش صراع
كلمات في الصدر تمور .

أبريل ١٩٦٦

بحيرة الدموع

عيناك يا حبيبتي بحيرتا دموع
تجوب فيهما سفينتي رؤى مشدودة القلوع
تحملني لعالم عبرته منذ زمن
وقلت : لا رجوع لا رجوع !
ويومها .. لا تذكره فالهوى يحن
وقلبي الجريح لم يزل ين -
ويومها .. خرجت زانغ الخطى
ومعطى القديم فوق كتفي
مضيت لا تحملني ساقاي يا حبيبتي
تمتد في خطوهما الشوارع العرجاء . يلتوى الطريق
لسكنني لم أقف
واليوم .. هل يعيدني البكاء !

لا تطيلي البكاء .. لا .. لا تطيلي أنت خلقتني لليل ثقيل
لم أعد بعد يهدمني الدمع ولا يعرف البكاء سيلى
الوعود البيضاء .. والأمل الحلو .. وما قلته .. وما لم تقولى

والعيونُ التي شربت رضاها نظراتٍ من الهوى المعسولِ
لم تعد غير ذكرياتٍ هزيلاتٍ يرفرفن في فؤادٍ هزيلِ

* * *

كان بين الضلوع نهرٍ وديعٍ صفوه يحتمس به صفو الاصيلِ
تتنادى الطيور في شاطئيه وتُجيب النخيل بالترتيلِ
زورقي فيه سباحٌ في أمانٍ يتغنى .. حمامةٌ في خميلِ
أنتِ .. حوَلتِه إلى صنبٍ يهـدرُ موجاً كعاديات الخيولِ
عاصفاً .. عاصفاً تدهم فيه السافيات الغضاب دقَّ طبولِ
ثم خلّفتني وقد نزع القلبُ فإلى لردّه من سبيلِ
فاستريحى .. وهددى الدّمعَ لئى ليس يثنى البكاءُ بعض غليلي!

ديسمبر ١٩٦١

ابتنسامة باهتة

لأننى أخافُ أن أنهارَ فى مجانسِ السَّمَارِ
أنزِعِ ابتنسامةً باهتةً الألوانِ ضحلةَ القرارِ
من وجهى المنسوجِ من ثناكبِ الغبارِ
أشدُّ كلَّ كلمةٍ أقولها من صخرةٍ مشدودةٍ إلى جدارِ
ألقى بها موءودةً . جوابُها ازورار .
أنظرُ فى الوجوهِ خلصةً . . فأقرأ الانظارِ
التنظراتُ فى العيونِ عارِ
التنظراتِ فى العيونِ عارِ ١١
د الفارسيّ الذى انهزم . .
هذا الذى كان له وكان
اليومَ لم يعد له هنا مكان ،
وتعبّر الوجوهَ بعدها سحابة رقيقة من الندمِ
تدوسنى ألف قدّم
سنبلك الخبل ودقات الطبول
دوامة . . دوامة وألف غول

سحابة ثقيلة من الألم
تمطر فوق صدرى الحزين ألف ليتنى وليتى
فتنبتُ الظنونَ والأشواقَ .. لا تسفى
لكىنى .. أقطعها أقتلها لانتى ..
أخاف أن أنهار فى مجالس السمار !

يولية ١٩٦٧

أَبَدًا يَأْتِي اللَّيْلُ

أَبَدًا يَأْتِي اللَّيْلُ ..
أَبَدًا يَأْتِي غَضْبَانًا بِقَامَتِهِ السُّودَاءِ الْمَمْدُودَةِ
أَخْرَسَ مَفْقُورَةَ الْعَيْنَيْنِ
غَوْلًا مُنْتَفَخَ الْوُدَجَيْنِ
يَنْزِعُ سِرِيرِي .. وَتَدْبُ خَطَاهُ عَلَى صَدْرِي
نَزَعُ حَزَنِي .. تَوْقِظُ أَوْهَامِي الْمَوْودَةِ
وَتَطِيرُ حَمَائِمَ لَمْ تَفْرُخْ فِي عَشِّ ضُلُوعِي .
أَبَدًا يَأْتِي
يَشْطُرُنِي اثْنَيْنِ عَدُوَيْنِ
يَخْتَلِفَانِ وَيَخْتَصِمَانِ
وَيَدُورُ حَدِيثُ مَسْنُونٍ لَا يَجْرِي فِي شَفَتَيْنِ
وَاللَّيْلُ بِقَامَتِهِ السُّودَاءِ الْمَمْدُودَةِ
يَنْهَشُنِي .. وَتَدُوسُ عِظَامِي قَدَمَاهُ الْعَارِيَتَانِ
يَعْتَصِرُ عُرُوقِي الْمَشْدُودَةِ
يَجْدِلُهَا سَوَاطِلًا يَنْخَرِسُ صَوْتِي

أنكفى على صمى
أستجدى الغرفة من يؤمنى
يُفزعنى ظلتى المرسوم على الجدران
أهرب فى طرقات الماضى المسدوده
ينفجر الماضى بركان
أختبى طريداً فى صفحات كتابى
وكتابى لايسألنى عما بى
حتى يأتى الصبح السامان بخطوات مكدوده
يتصايح أبناء الجيران
وتدق الساعة إدقات معدوده
يطرق بابى بائع خبز أو لبّان
• اصبح فقد فات الوقت •
أحشو نفسى بين ثيابى
أخرج للشارع .. والشارع أنفاس ممدوده
لايسألنى عن حزنى إنسان
وأعود ليسألنى الليل ١١

يوليو ١٩٦٩

أخاف من عينيكَ

من لي من عينيكَ يا فتنة في ظلها هنت ، وهان الهوان
أخاف من عينيكَ يا قطتي ولم أكن من قبل أخشى الطمان
من يوم أن ضمّ المنى منهما جناح حب دافئ في حنان
اخضوضر الحرف بأشودتي وزقزقت في القلب عصفورتان
وصرت في محرابها عابداً تخضل من دموعه الوجنتان
قربانه الحب ، وتسبيحه بالشعر ، لو .. لو يستطيع البيان

أخاف من عينيكَ إنني على بابهما أجنو صريع الجفنان
تقذف بي عيناك من موجة لموجة ضل بها الشاطئان
يصور السحر بهديهما مرافقا خداعة بالآمان
فكلما هدهدت من زورقي وقلت : لا ، يا قلب أن الآوان
تعصف بي عيناك في نظرة تزلزل الموج وتثني العنان
فمرة عيناك في ثورة ومرة يا فتنتي تهدآن

عينك : ما عينك إلا هُدًى
 في كل عينٍ منهما نجمة
 وحينا سار على نورها
 فلا تغفُضِي الطرف عن حائرٍ
 لحائر في فلولات الزمان
 رقصت الضوء له فاستكان
 أغمضت الجفن فضل المكان
 ينشد في عينيك شط الأمان

عينك لمن راعش جارح
 فآه من عينيك من فتنة
 أو تاره قلبي به تضربان
 في ظلماتها هنت وطاب الهوان

مايو ١٩٧٣

بسم الله

الحمد لله

والصلاة والسلام

على سيدنا محمد

وآله الطيبين

الطاهرين

أجمعين

اللهم صل على

سيدنا محمد

وآله

وصحبه

المسلمين

مَآذِ ابَعْدُ

تسألني عيناك الحالمتان :
كنتَ تقول الشعرَ زماناً ثم سَكَتَ
واليوم تعود لقول الشعر
من أطلق في وجدانك هذا الصوتُ
من حطّم في قلبك جدران الصمتِ
ويجيبك قلبي النَّابضُ بالأحزانُ
وهو يدافع وجه الموتِ
يا فانتقي أنتِ وأنتِ وأنتِ .

حينَ رمتُ في ربيعِ الحبِّ غريقاً في عينيكِ
تتقاذفني أمواجُ السّحرِ الطاغى في هديكِ
كنتُ أنادى باسمك المأثراً
أرفعُهُ - وشراعى يغرقُ - علماً
أتلّق في أحرفِهِ حلماً
فتنضى الأحرفُ في شفقٍ ويرتدُّ صداها نغمًا

يهمس .. يهمس في أذنيك
فطننت - وباللظن الناعم - أننى أنشد شعرا !
يا فانتى هذا صوت غريق
لو أطبقت عليه الجفن فسوف يُفريق
ليعيش بعينك العمرا
يُشد حين ينادى باسمك شعرا !

* * *

تسألنى عينك الحائرتان :
ماذا بعد ؟
أوشك أن أسمع فى صفو حياتى زجرجة الرعد
أعد النفس بأى سوف أعيش لعشى الهادى
لكن .. طيفك يدعونى فأزول هذا الوعد
قل لى .. قل لى : ماذا بعد ؟

* * *

يا فانتى كفتى .. كفتى
حين يذوب القلبُ رقيقاً فى الشفتين
حين ترفُّ الروحُ شعاعاً فى العينين
حين يدفُّ الأملُ الظمآن مشوقاً بجناحين
يرتاد النبع الصافى .. يغرق .. يتعلق فى الهدبين
حين تلامس كفك كففى

يختلطُ الماضي والآتي بالحاضرُ
لا أعرف كيف وأينُ
تتمدد في الزمن المخبوء سنينُ العمر الضامرُ
تتفجّر في اللحظة سنواتُ الشاعرُ
يخضب كل عقيم من أيام عذابي
استمعُ في همستك النشوى كل الكلماتُ
ينسابُ بنفسى ضوءٍ مشبوبٍ من خديكِ
يعلو بي فوق الزمن المحدود البعدُ
أنسى .. أنسى ماذا بعدُ !

* * *

معذرةٌ إن طال عليكِ جوابي
فأنا أنظرُ في عينيكِ !

مايو ١٩٧٢

الوداع الأخير

اتركني غير باكيةٍ ليس بي للدمعِ مُرتجفٌ
واستريحى لم يعدْ ألى ذلك اللونَ الذى وُصفُوا
عاد لى ما غابَ من رَسدي وتولاني له أسفٌ
فاستقرَّ القلبُ وانخلعتْ شوكةٌ فى الروحِ ترتجفُ

* * *

يامثالاً مُصغَّته ييدى كانَ بالأضلاعِ يكتنفُ
مُحبته يقتاتُ من كبدى من دى ما شاء يغترفُ
كانَ إماماً مسه ظمأ من رحيقِ القلبِ يرتشفُ
كانَ إماماً شافه لعبه فى حنايا النفسِ ينمطفُ
كانَ فى عينيَّ مشرقه وله فى العينِ مُنصرفُ
لا أبالى الناسَ إنْ جهلوا ما ألقى فيه أم عرفوا
كيف أُمسى نهرنا كدراً وهوتُ من بيننا كسفُ ؟
كيف .. لا كيف فقد نأر فيكِ مُصراخُ العالين .. هل أقفُ

... ..

إنني ماض على ألى لا أحب السرّ ينكشف
فأتركيني غير باكية ليس بي للدمع مرتجف
إنني حطمت ما خلقت يد قلبي ، وليكن تلف
لا تظني بي معاودة إنني بالكبر متصف

أغسطس ١٩٧٣

ماذا يقول الموتي؟

هناك حيث تحتضن الرمال الصفراء آلاماً من الموتي
وعند شواهدٍ نصبت علامات تجرع الصمتا
أقاموها من الصبار والحجر
ومال البعض من ضجر
ترجع بانصدى الواهى أنين الريح والشجر
وتنسج في زواياها العناكب بيتها الواهن
وتبكي اليوم موتانا
أولئك الذين تكفّنوا بالرمل والنسيان .. يا أسفا !
ويا عجباً لدنيانا
ذهبت هناك .. فالقلب الحزين هفا ..
إلى جدى الذى قد كان أوسانى
وصوت راعش الكلمات يحمله إلى أذنى
من الأيام طيف واهن هتفا
غداة أسير يصحبني إلى المكتتاب ، : يا ولدى ..
أمد الله في عمرك .. إني قد دنا عمري
غداً سأموت يا ولدى

وأنتَ تذكرون ، شيخاً ، يحفظ القرآن فاذا كرنى
وجىءَ يوماً إلى قبرى
لتقرأ سورة ، نورها الحدى

ومرت لحظة .. وتحركت شفتان .. لا أدرى
فقد دارت رحي قد أثقلت صدري
وأعولت الرياح .. وردد الصبار والحجر
غداً ساموت يا ولدى ،
غدا ساموت يا ولدى ،
رنين يفرع الأمواج للأبد
ويمضي الموج في صخب ليرقد يجرع الصمنا
هنالك حيث تحتضن الرمال الصفر آلفاً من الموتي
وضعت يدي على رأسى
بكيت هناك فى نفسى .. على نفسى
وها رحل النهار وغاب فى دوامة الشفق
ومدّ الليل أجنحة الظلام ترف فى الأفق
وأجنحة من القلق
وندت صرخة تداخ فى يأس
لماذا تقذف الأيام بالشمس
لتدفن فى دجى الأمس

كما رقدت عظام الجسد في حفره ؟

.....

وضاع سؤالي الخيران .. وانتفض الصدى مره

وفي أطوانه حسمه

وصوت من وراء الموت يأتي راعش النبره

غداً ساموت يا ولدى ،

ويخطفه أنين^١ الريح والهبار والحجر

تردده .. وما زالت تردده

ويحكي وقعة المطر^٢

وجدي خلف أسوار الفناء المرّ ينتظر

هناك حيث تحتضن الرمال الهفر آ لافاً من الموتي !!

يناير ١٩٦٦

الظل قبل الغروب

رأيتُ ظلَّ النجيلِ قبل ساعة الغروبِ
يمتدُّ خائفاً كظلِّ كلِّ شيءٍ
كأنما بهم بالهروبِ
رأيتُهُ ورأسَ الطويلِ يلتقي بجائطٍ قديمٍ
وجبهتي يثقبها مسمارٌ
كلبٌ عقور جاء كي يبول في زاويةِ الجدارِ
وفوق رأسِ الممدودِ . . . يا للعار !
خطوت بخطوتين
هناك فأس في يدَيّ فلاحٍ
أهوى بها على الجدارِ مرتين
أحسست أن صدرى المثلث بالجرّاحِ
تمزقت أضالعه
وصار قلبي المسكين في يد الرياحِ
كانت على الجدارِ قطعةً صغيرةً عيونها خضراءُ
لم ترهب السكلب العقور والنباح

التهمت من الرياح قباي المطعون
الناس حولي يلغطون
اجتمعوا وكلهم عيون . .
أهدأ بها خيوط عنكبوت
مدودة لقطعة كانت على الجدار
ما أثقل الذين يحشمون فوق عنق
عيناي تجحطان . . تحمران مثل الشفق !

* * *

خطوت يا صاحب خطوتين
لكنني من غير ما قلب أسير
ألم أقبل لكم
قد أكاته قطعة صغيره عيونها خضراء منذ لحظتين ؟
واهاً لصدري الممزق الأضلاع
قد التقى بصيبة جباغ
لو فوق صدرى الجربج يلعبون !
لكنهم - يا الأسى - سيكون
فتشت في محارجى من أجلهم عن دمعين
الجوع ماذا قد تفيده الدموع ؟

عيناي تهجضان . . تهمران مثل الشفق
ما أثقل الذين يحشمون فوق عنقي
الشمس تخبو من بعيد . . تهرق
تذوب في مجامر الأفق
ظلي النجمل يختنق
وفجأة . . تسمع كنف الليل ظلي النجمل

ديسمبر ١٩٦٥

المجموعة الثالثة
أحمد درويش

مرثية إلى مجاهد

العام دار دورته

مرت على الرحيل كومة من الليال !

مشدودة القلوب والمقل

شمس الهجير أحرقت أعين ظل

وجففت جدول ماء

لكننا فارسنا

قد قال يوماً كلمته

وأطلق العنان للرحيل

العام مرة

والليلة التي رحلت في دجائها قاسية

السجن جدران رهيبة العيون والشقوق

والليل قضبان . . وخلفه الرحي والطاحنون

وأعظم الرجال لائلين
وموجة العناد لائلين
والليل قضبان مكين

ياشرطى
كفأك حمر او ان بالدماء
الدم فوق مرفقك
الدم غطى ساعدك
الدم فى عيونك الى تشع بالنقم
وفى شفاهك الى توزع الرياء

ياشرطى ..
الدم سال
وعندما تهلل الطريق بالدماء
ينزاق الجلاد والجواد

ياسيدى
أخجل أن أقول كلمة قديمة مبتذلة
الفجر يعقب الظلام

ودمك الزكي يدفع السفين للأمام
وفي غد تنبت فوق أرضك المغتصبة
أغصن ظل
تورقها حرارة الدماء

أكتوبر سنة ١٩٦٦

عَيْنَاكَ

لا تغض عينيكَ . . لا تحجبي
الليل في هديهما رهبة
أى شباك شد أحبالها ؟
لم تنفع الطير مهاراته
ولا الأناشيد التى صاغها
تهزأ بالأسرى . . فوارحنا
يا طائران فزعاً مرة
عن قلبى الظمان نبع الحنان
والفجر فى ساحهما والأمان
وأى صياد يراه الزمان ؟
ولا جناحان له يخفقه
تزعّم أن الأفق طوع البنان
لهازى تغل منه اليدان
ما أجل الريش إذا يفزعان

قلت : يقول الناس

فانطلقت
وفزّعت عيناك . . بانفثة
من أجملها أجمع كل الحصى
وأشهد العمق إذا حاجة
صدى فؤادى إذ هما يحلمان
يا طائران . . طمأ رجما
فانطلقت
بانفثة
كل الحصى
إذا حاجة
فؤادى إذ هما يحلمان
رجما

من خلل الأهداب حين ارتخت
وضوءاً جوانحى .. فجّرا
تسلل النور وضاء المكان
فى غدى الموعود نهريّ أمان

باطائران غفـوا فى يدي
لا تغمضا الجفنين .. لا تتمعا
ما أجمل الحلم إذا تغفوان
عن قلبي الظمآن فيض الحنان

أبريل ١٩٦٦

الحُرُوفُ .. والشجر

أتذكرين

يوم حفرنا فوق جذع شجرة

برغبة في أظفر مستعرة

حرفين يرمزان لاسمى عاشقين

أنا وأنت

أتذكرين

أخضوضر احمرار ظفرك الجميل

وهو يدافع اللحاء وليونة الشجر

وأنت تحفرين

وتكتبين أول الحروف

وحول حرفينا رسمنا قلبينا

أخضر مثل ورق الشجر

ولبن الطيات كاللحاء

وصافيا كقطرة المطر

أتذكرين، ١٩

ويومها قلنا : ليشهد الريح حبنا
وليصقه الندى على مشارف الصباح
ولتعزف البلابل التي تزور أغصن الحديقة
لحبنا الخانما

ويومها قلنا : ولو أتت عواصف الخريف
تهزأ بابتسامة الشجر
تنفض عنه ثوبه المخضوض الجميل
سوف يظل ألق الحروف باقيا
لأنها تمتص من عراقة الشجر
من عوده الصاب وجذعه الافرين
أذكرين
ما أكثر السداجة المجنحة
يحملها العشاق في قلوبهم
حين تكون غضة منفتحة
لم ندر ان الريح قد تجيء ذات يوم
قاسية كهسوة الخريف
فتقتلع

تهزأ بالأغصن الجذوع
تحول الندى الى دموع
وألق الربيع صمت ساعة مجرّحة
هــ هذا الذى صنعه الخريف بالحروف
يا حبيبى

يونيو ١٩٦٧

زِيَارَةُ سَجَّينَ

« سَيِّدُ صَدِّيقُ »

اسم من خارج أسوار السجن العالية يرون
يتسلق جدران السجن الملساء
يحاول أن يصعد للشرفات
ثم يهن
يرتد جريح الأحرف . . دامى الكلمات
يموت بدون كفن

« سيد صديق »

الأمل يراود شفة ذابلة الأوراق
صفراء ارتعشت فيها الكلمة
أن تسمعها
فتطير الأحرف . . تسبقها عين الأشواق
تبحث عن كوة حائط
علّ عيوننا ترقد فيها

تنتشل فراشات الكلمات الحائرة بدون هدى

تمسح دمع ماقيها

وتبل صدى الأذن المملوءة أصدااء حيرى

« سيد صديق »

ويحرك وقع الكلمات حذاء الشرطى الحارس

- من يقتحم الجريمة .. ويحطم قانون الأمن؟

ياسميدنى :

لقاء المسجونين زمن

ونداؤك يلفت ألف أذن

ويسيل لعاب عيون مسيلة الجفن

وأمد يدي بأبحث عن عظمة

ألهى الشرطى بها

وعيون تنبع وقع يدي

وعيون داست في نهم جسمى

« الصدر .. وما في الصدر .. نهم ا »

ويسيل لعاب

وتحرك فيه الرغبة بسمة ذنب

ترسمها شفة صفراء

— ياسيديتي :

زوجك .. أصنع عيني مصباحا له
إن يخل السجن عليه بضوء
وأقدّم أنفاسي الحرة
إن يخلت حجراته بالدفء
من أجل الصدر . . وما في الصدر
لم تشيع بالعظمة . . تطمع أن تقتات اللحم ،

« سيد صديق »

والدمعة تهطل فوق الخد
قد كان العش بلا أسوار
يحميه الشرطي من اللص
من يحميني من نهم الشرطي اليوم ؟

يناير ١٩٦٧

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عناكب الشمس على حدائق القناه

تنخط آخر السطور في نهارها الطويل

والمدن التي تمور بالحياه

تغرق في دوامة الصمت للملوك

شطآنها خنادق يملؤها الشار الجريح

وأنت يا طائر المهاجر الوديع

تعبر دسدينا ، الأسيرة

في رحلة حزينه مريرة

تومها من شرقها لغربها

كأنما تسعى لموكب المغيب

من قبل أن يغيب

لتودع السر الذي حملته

من الشكالي والعيون المتعبه

ومن جموع الأمهات الداعيات

والفتيات الباقيات

تحت سقوف دورنا المختصبه
لتطلع الشمس به على غد جريح
يحفز للثأر جموعنا
جراحنا المرتقبه
يا طائر
ماذا هناك فى جوانب الفيافي العابسة
فإنى لمحت بازياً يطير
يحتسى منه قطرات يابسة
فأى حبة حصا من دمها
وأى لحم غاص فيه مخلبه
من بعد ما عفنته توهج النهار
وأنت يا طائر المهاجر الوديع
لمحت دمعة بدت فى عينيك المفزعة
فأى دار فى ضواحي غزة ، الرقيقة
لمحت فيها واحدا من الكلاب الجائعة
يمرغ الزهرة فى طين الحديقة
والمح الذلة فى جناحك الطويل
فأى عاخم رأيت

يدوس بالهوان أرض المسجد الجليل
والمح اللعنة فوق جيلنا ... لأنه باع إلهه بلا ثمن
يا طائر الحبيب
أسرع
فان شمسنا قد أوشكت أن تدرك المغيب

أغسطس ١٩٦٧

الظَمَاءُ

الطريق امتد يستقبل صفعات الجموع المسرعه
ونسيم الصبح قد داعب خصلات فتاه
وبرأس السائر المكدود أوزار حياه
أى شىء يحمل اليوم الذى يستقبله
وهموم الامس أشواك تغطى مضجعه
أى شىء حملت أيامه
وهى تمضى عابسات مفرعه

شدت الكلمات عينيه . . . رثا
لحبيبين يسيران معا
لعيون تبسم
وشفاه تنسج الأيام حلما من كلم
اصبعين اشتبكا
غزلا أول خيط للغد
نسجا خيمة حب

غرسا من حولها بعض شجيرات جميله
سقيها بالعرق
رعيها فاستوت في سوقها
تعجب الزراع .. جادت بالعرق
أصبحت خيمتنا الصغرى حديقه !
واستطال الحلم في كل اتجاه
وبرأس السائر المكدود أوزار حياه
فجأه .. ينشب في الخلق لهيب من ظمأ
ويعينه سؤال حائر لا ينطفئ
أى شئ ضاع منى في الزحام ١٩

ديسمبر ١٩٦٧

مخاوف على غاطس الحب

يا ناعسة الجفنين
انيك أسواق عتاني وأسواق حنيني
قلبي مسته الريح اللينة الأمواج
ذات صباح وروى الشطين
حين تبسمت الأهداب الوسنى عن أجمل عينين
حين تفتحت الأجفان
عن زهرة حب عسلية
زهرة حب بريّة
يتماوج فيها السحر
يتدفق منها أصنى الالحان
يا فاتنقى
حين نشرت قلوعى نحو مرافئك الخضراء
حين توجهت بكل حنينى نحو شواطئك الحلوة
ما كنت لأدرك أن الريح ستقسمو حين تذوب قلوعى

يا فاتنى . . الريح تهز الموج بقسوة شيطان

والزورق يصرخ فى فك الأمواج

وأنا أنظر فى خوف للبحر الهائج

للباء الغاضب

للقاع الظمآن

للجسد الطينى الذائب

أبريل ١٩٦٦

الحس الشهد المجهول

لاصدر أملك الحنون
ضم كفئك عند الاحتضار
ولا أصابع الحنان
أسبلت أصبل عينيك الوديعتين
ولا دموع لحظة الوداع
قد بلت منك شحوب الوجنتين
ولم يشق الأفق حينما رحلت صرخة التباغ
وإنما فوق صحارنا العطاش
فوق تلالنا الحزينة الرمال
توهج الشباب في عينيك لحظتين
ثم تلاشي
وحينما امتطيت صهوة الرحيل

ثقلت أفقه الثقل

قفزت قفزة مهيبة من الضحى إلى الأصيل

وكان زهو عمرك الندى

مستعصياً على الذبول

في الصبح حينما تجمموا النوبة العلم

لم تك بينهم

سبقتهم

وحينما تصايحوا بنوبة النام

لم تنطق الرقم

مكانك الخالي وأعين الرفاق

تسيحة تطوف من حول الحرم

إن كنت في صمت رحلت يا شهيد مصر

فزهرة أنت على مفرقها الطهور

ودمك الذي تسربت خبوطه في القفر

ينبت في صحرائنا الظمأى إلى الشجر

شجيرة في لون ريفنا الوديع

تُظِلُّ موكب المسافرين
العاقدين في الجباه عقدة الظفر
لا بد من صمتنا وإن طال السفر
لا بد من صمتنا وإن طال السفر

أغسطس ١٩٦٩

لا تنكرى أنا غريبان أنا قد مللت طلاء أحزاني
لا تنكرى ... فحديثنا مزق
مشدودة في خطين الواني
لا تنكرى ... فثيابنا رقع
أصباغها تلفيق ألوان
كل الذي قلناه مختلق
وحديث تزوير وبهتان
كل الذي غرست أصابعنا
زرع بواد غير ريان
الرمال تربته العقيم
وصخره متناثر في أضلع القيعان
عبثا ... نحاول أن نمد جذوره
أو أن نبث الروح في الأغصان
عبثا ... نحاول أن نقول ... خديعة
ها أنها مخضرة الألوان

غزليات

ياما ظلمنا الريح . . . قلنا إنها
تسقى فتطفي خضرة العيدان
ياما ظلمنا السحب . . . قلنا إنها
بخلت بوافر مانها الهتان
أو لملمت دون الهجير ظلالها
ياقسوة الإحراق دون حنان

.

ياما ظلمنا كل شيء حولنا
والظالمان هنا .. ويختبئان
رأساهما في الرمل .. في أيديهما
نذر الأسى ومعاول الحرمان
لا يامعذبي .. فقد طال المدى
والارض لم تنبت سوى الاحزان
ها أنه قد مر عام . . . طفلنا
هزل الملامح شاحب البنيان
تبدو عليه علائم مذعورة
طفل يتيم ماله أبوان
السوس ينخر عظمه .. ماذا ترى
سيكون لو مرت به سنتان
قاس علينا أن نقول حقيقة

الهمجر أحنى من لقانا الجاني

قاس علينا .. أن نقول حقيقة

إنا برغمنا لمقتربان

لاتنكس .. فالحزن يملؤنا أسى

وأنا

ملت طلاء أحراني

١٩٦٩/٩/١٦

الطائر المهاجر

الآفق .. والشمس .. والأصيل
والنهر راع يؤوب حزناً
وصفحة الأفق لمن حزين
وطائري مطرق حزين
وفي أغانيه بعض شجو
والحزن جهم الرؤى . ثقیل
السحر في مقلتين يخو
ودمعة غضة كسول
والرأس .. رأس الجمال والذل والصب مطرق ذليل
وموجه الشجر .. كيف يهوى .. عن أفقها ذلك الأصيل
والعش أضلعه تلوت يهزها عاصف ثقیل
ودكمة السحب .. أى شر يخفيه إطراقها الكليل

يا طائري .. والرياح دجن سوداء .. في صوتها عويل
أمسك جناحيك .. فالمنايا من كل أمواجها تسيل

واحسرتاه .. قد ضعفت .. طارت بك الدجى .. ضمك السبيل
تركت لي الشجو والليالي والليل في شجوه يطول

الصفو قد ضمه إكتاب والشمس قد ضمها أفول
والحزن قطراته توالى تحتاج كل المني . . . تقول
قطراته . . . والأسى . . . وقلي
وكل مهوى الضياع يمر ما نبت الرحيل
الليل يطارى طويل والضوء يطارى كليل
وأنت رغم الضنا . . . جناح
أخاف أن تعصف الليالي به وأن يعوز الدليل
وأنت رغم الوشاة غرسى وظللى الوداع الجميل
وأنت من أنت ؟ أنت كرمى وظله الوارف الظليل

في الفجر . . . والصبح نبع ضوء على اخضرار الربا يسيل
ومولد النور أغنيات يشدو بها طائر جميل
خفقت فى الأفق خفق نجم خطواته . . . غضة . . . خجول
وعدت للعش . . . ثوب عرمى تجر من خلفه الذبول

ديسمبر ١٩٦٩

لعمري .. قصيدة جميلة ولدتني ..
 لقاك .. لقاك .. لقاك ..
 لقاك .. لقاك .. لقاك ..
 لقاك .. لقاك .. لقاك ..
 لقاك .. لقاك .. لقاك ..

ورقة ورد

يشرق الصفو بنفس أنجما كلما كان لقاما ... كلما
 وضياء الثغر .. يهدي الزمن الميـت في عيني .. لحا ودما
 آه من عينيك ما أروع أن يجذل الصجر العطا .. ما أكرما
 عمق عينيك نجوم وأنا أصعد الهدب إليها سلما
 كلما حلقت في آفاقها أ ورق الحب بقلبي .. ونما
 ظما كانت ضلوعي أرضه أغدق السيل عليها وهما

يا خديك الأسيلين ويا روعة المرمر .. ياما أنما
 يزلق الضوء عليها كلما شامت العين له أن ينما

وشفاه هي كالورد شذى موت هذا الورد إلا بلـما
 ربما عطرت الحرف إذا مر من بين شذاها نسما
 أنا أسقيها حنانى وهى لا تحجب الرشفة عن هذا الظما
 آه .. بالوحة رسام قضى عمره .. يحيا رؤاها حلما

يغمس الريشة في ماء الهوى يجعل المرسم قدساً .. حرماً
وظلال نابضات حية فنه يخلق منها نفماً
يمزج اللون مع الطيف مع الظل منوراً حالماً منسجماً
سحرها فانتني أروع من كل هذا الفن .. شتان هما
أنت شلال حياة دافق يزرع النور بدرى أنجما

يناير ١٩٧٠

المساء الأربعون

كيف نجتاز المساء الأربعين دون أن ندرك معنى الأمسيات
نحن يا غفراء من ماء وطن ما التقينا كي نلوك الكلمات

قد مللناها حكايا شهرزاد ومللناه حديث الغزل
أطفئ .. فالشوق في جنبي زاد أطفئ نار الهوى بالقبل

يذبل الورد إذا لم نروه ويموت الحب في جوف السنابل
فاسكب بعض الندى في جذره كاد هذا العود أن يصبح ذابل

أنت لاتدرين معنى شفة عانقت لحظة إمتاع شفة
مثلا عصفورة ظامئة من غدير بارد مرتشفة

أنت لاتدرين معنى جسد شم ربح الخصب يسرى في جسد
لهب الرغبة يسرى من يد فيذيب الثلج أكواماً يبد

لست اثنى ان عبرنا عامنا فوق جسر من حكايا الشعراء
خير ما في دربنا قد فاتنا عرجى فندس بين السعداء

عرجى هذا مساء الاربعين كيف لم نذكر جمال الامميات
نحن يا عفرأ من هذا وطن ما التقينا كي نلوك الكلمات

ابريل ١٩٦٩

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ يا عفرأ

الدفء... والثلج

أشمتك في كل مسرى النسيم
[وكل ابتسام الزهر
وكل اخضرار الربيع الندى
إذا غرس الروح فيه المطر
.....

لأنى حين ضممتك يا قنتى
تضوع في أنفى الفل والورد والياسمين
وحين استراحت على كتفى خصلتك
نسيت عذاب السنين
[وهبت على نسائم بحر رقيق حنون
وحين استرحت على شفئك
شربت عذوبة نبع مصفى
يعيش به الدفء والثلج جنباً للجنب
وينبت فى ساحه روض حب
.....

أشمتك فى كل مسرى النسيم

لأنك تحمين في داخلي

وكل ابتسام الزهر

لأنك ياقطرات المطر

غرست الربيع بكل حقولي

زرعت المرافئ في ساحلي

مارس ١٩٧٠

ما وراء الصمت

أقرأ ما يدور خلف الصمت من كلام
أدرك سر ذلك الشرود

والرحلة البعيدة المدى بلا حدود
وأعرف التساؤل الذي يدق باب قلبك الصغير
في الشارع .. في المكتبة .. في السرير
وبين همس صاحبات حين يلتقيان
يطبعن قبلة على الشمال ، ، قبلة على اليمين
يطرحن ذلك التساؤل الماكر يا صغيرتي
ما سر ذلك الشرود في العيون ..
العاشقين ؟

* * *

أعرف سر ذلك الشرود
حتى وإن ضن به لسانك الجحود
لأن عينيك تبوحان به
في ضوءها اللهفان

واستسلامها الودود
أقراه في وجهك الوردى حينما يرتاح فوق كتفى
في النَّفَس المَخدِر الرَّتيب

وكفك التي تنام في وداعة البسام
في دفء كفى حينما تبدأ رحلة الأحلام
وممدرك الذي يهتز عن تنهيدة العطور
أقرأ يا حبيبتي غلالة الصمت بدون أحرف الكلام
لأن وشى الزيف يختبئ في أحضان السطور
لكن لمحة الصفاء يا حبيبتي
تفوح من تنهيدة العيون والسطور

أبريل ١٩٧٠

شهر يار... في الليلة الألف

يا شهر زاد
ياربة الحكمة
يا مليكة الجمال والدلال
ياقطعة باسمه من النهار
تضيء ليل شهر يار
تغرس في آفاقه حدائق الأزهار
تطوى نهاره الطويل
لساعة المساء
حين يجر الليل ذيله الرمادي على مجالس السمار
حين تجوبين به شواطئ المجهول،
أو مجاهل البحار
يرجع مطبق اليدين
على تلال من حكايا وبحار
يرجع ناعم العيون
من جواهر الأمواج والقرار

يعانق الفجر بلهفة الحنين للسماء

لشهرزاد

مليكة الحكمة والبهجة والغناء

يا شهر زاد

أذكرك

كم ليلة مرت على لقائنا

منذ تصافحنا

وشعّ في سماء ليلنا

ضياء عينيك الحنون

قد مر ألف ليلة على اللقاء

حدثني

حكيت لي

غذيت لي

صعدت بي مدارج السماء

طوفت بي

صنعت لي عوالم باهرة الضياء

أريتني لآلئ المحيط والخليج

عارية أو حلوة الأصداف

سقيتني معتق الأريج

عصرت لى أطايب الأفواف
لكننى يا شهر زاد
لكننى ... أخاف
أخاف أن الصبر فى منعطف الطريق
نهاية المطاف

* * *

يا شهر زاد
نسيت أنت من تتابع السنين
نسيت أن شهر يار
يرقد فى خياله المعذب المسكين
حكاية العبد اللعين
حين امتطى فراشه المهيّب
ونضحت جبهته السوداء
العرق الآثم فى سريره الخبيث

* * *

العبد يحتمل منافذ الأفق
العبد يمتطى هياكل الفلك
الشفة الغليظة المشققة
داست قداسة الملك
الزوجة الخائنة الممزقة
خيالها الخائن ماهلك

يا شهر زاد

ياربما في خطوة من خطوات الزمن

من بعد ألف ليلة سعيدة الرؤى

تجى لحظة الختام

خائرة القوى ثن

تهدد صرحنا المقام

تصنع من أظافر النسوة خنجرا

يجرح نغر أمسنا

ونحن لا بقسامه نـجـنـ

ماذا إذن يا شهر زاد

لو أننا كنا علونا فوق خطو يومنا

لو أننا لم نسلم الزورق للتيار

يمضى بنا . . . يمضى بنا

فإننى أخاف من نهاية المسار

على نقاء يومنا وأمسنا

ماذا لو أننا جعلنا لحظة الختام

تحت صفاء شمسنا

وفى شفاهنا عذوبة الكلام

* * *

يا شهر زاد

ليس كثيرا أن يكون شهر يار

بعد دروس الحكمة البعيدة القرار

تلييك الحليم

يهدى روائع الحكم

يمنح للحرمان بعض ما يمنح للعطاء

يجعل لحظة الوداع

صافية كل لحظة اللقاء

يا شهرزاد

تكلمى .. تكلمى .

فالصمت يروى عوده الظمان من دمي

ما عاد شهر يار

يستل كالأمس خناجر الغيرة والعتاب

لكي يسيل الدم كالأنهار

ما عاد شهر يار شهر يار

أدرك أننا بمنطق الصفاء

لا بد أن نمنح للعطاء، بعض ما نمنح للحرمان

يخضر من حياننا الوجوهان

يا شهرزاد

ليس من الجنون

أن نقولها كفى
وما يزال النهر يعطى ماءه الحنون
ليس لذن من الجنون
حديث شهر يار
يا شهر زاد يا جميلة العيون

مايو ١٩٧٠

الرسالة المجرىة

رسالتي

قد أبجرت ذات صباح

تحميلها زوارق الحنين

ترد لو تسبق في مسيرها

تقاذف الأمواج للسفين

تشكو مرارة الضنا

تخرج من قوقعة الإباء

صمت نفسي الطويل

عريانة .. بريئة الحروف

تعاقب الشاطئ من بعد

حينما بدا

ثم تدق في براءة الطفل السعيد ..

الباب مرتين

رسالتى

تعود لى بجروحة الإبهام

تخوض فى بحر من الدوار والندم

قد حملت وزر الذى قد خطه القلم

وانقلبت بسمتها الصافية الزرقاء

صمتا يطل من سطوره الألم

أهكذا

يشع فى مطلعها دحييتى ،

وفى ختامها د الشوق للقاء والعناق ،

ثم تعود لى

ذابلة الأزهار والأوراق

تطعننى

تدوس كبريائى المراق

تهزأ من قوقعى التى تفتحت

من قبل أن تعرف موقع القدم

لكنتي أغص يارسالتى بأحرف الندم

فلتصمتى

صيحجتك التى تبددت سدى

من غير أن تعانق الصدى

قد خلّفت فى قلبى الحزين

جرحا ينز بالآلم

وندىة لاتلتئم

يونية ١٩٧٠

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

يونس

١٧١

خطوات الضوء الفضي

فجأة أيقظنا صبح جديد

فتلفتنا حوالينا

وقلنا : مرّ عام

وبحثنا عن بقايا الكلمات

فوجدناها سرت في دفيء كهفينا

وطيف البسمات

فجأة شب عن الطوق الوليد

نبتت في وجهه الغض .. الملامح

أعين يملؤها الإصرار كي تنسج أفقا

شاخاً تخضر في تربته كل النجوم

وشماع لظلام الليل شقا

يزرع الفجر على كل الروابي والتخوم

ويعني لغد حلو جديد

* * *

لأنه شب عن الطوق الوليد
وسرى في دمه دفء الآبوة
وحنايات الأمومة
فاحمليه

ثم ضمية إلى نبع الحنان
والثمة

أدقنى أضلعه بالأنف الدافئ . .
ضمى كتفيه
ثم شفى وجنتيه

سوف تلقين به رائحة الأرض الزكية
حين ترعاها أكف الحب يوماً بعد يوم
حين ترويه دموع الشوق
قطرات العرق الحلو النديه
التي
التي عينيها
فالضوء الذي يغمرها

تابع من سحر عينيك الحبيبة
فرح يقفز بحثا عن غد حلو جديد

لأنه شب عن الطوق الوليد
لأنه أكبر من كل وجود
لأنه أكبر من كل وجود

أغسطس ١٩٧١

كلمات للطائر الأغر

قبل أن يصبح هذا الجسد المسجى ..

ترايا عفننا

قبل أن تهتف بريح الليلى

أن أدفننا

قبل أن أعجز عن سفح دموعى حزنا

قبل أن يفسد السر على حب طوانا زمنا

قبل أن يهترئ الخيط الذى يربطنا

سوف تأتى كلماتى لك صوتا موهنا :

أيها الطائر ، يا أغرودة الحب الذى كان ، وكان ..

أين هذا النغم المذوج من لحنك فى كل زمان ؟

أصبغى قد لمست منك الوتر

عرفت كيف يكون اللحن همسا ، فحفيها ، فانسايها ، فصخب

كيف تهتز خطى الحن على عزف المشاعر ؟
كيف قد يتسع الحرف لكي يحمل نبضات الحجر
أذن . . حين سقاها صوتك العزب ينابيع النغم
أصبحت تفهم همس الأمل المخبوء في جوف العدم
عندما يخطو على أيا من دون قدم
أصبحت تستقدم الحرف من النجم البعيد
ومن الموج العتيد المضطرم
أصبحت تفهم أن الصوت لحن منسجم
ربما من غير فم
ربما من غير فم

* * *

أبها الطائر ، يا أتمودج السحر ، ويارمز الجمال
آه . . كم فتحت آفاقا لعيني وريفات الظلال
لم تعد تحجبها الأشياء عما خلفها
أصبحت تقرأ ماتخفى الشفاه الباسمة
والعيون الشاردة
والصدور الناهدة
والخطى العجلى ، ومن يمشى على الدرب ونيداً
والذى يلقاك في حشد ، وتلقاه وحيداً
والذى يصنحك كيداً

والذى يبكى سعيداً
أصبح العالم ياطأثرنا حياً ،
شديد النبض يهدير
والذى يأخذ عنك اللحن يصغى ، ويسامعنا

* * *

فجأة ..
أصبحت الأشياء فى عينيّ موتاً وجموداً
خدرت كفى ، فلا تغزى لحناً أو نشيداً
ثقل السمع الذى أرهفته
أيها الطائر ، بل أضحي بلبداً
ونضت احرفنا اثوابها
واكنست فى غيبة الدفء جلوداً
هاهى الأحرف تبكيك فلا
تجد المعنى الذى تهدى حدوداً

فبراير ١٩٧٤

النقر على الأوتار

نقرت بالأصبع فوق ظهر عودى القديم
فغاصت الأصبع فى لجة بحر من تراب
واختزلت بمرت عنكبوت
وأنكرت عيناى لون ذلك الالهاب
لكن ظفرى عندما لامست الهيكى كل ..
بعد طول الاغتراب
سرت بها أمواج رعشة خفيفة
واستقبلتها موجة من الصدى
خافتة ضعيفة
لكها عميقة النبع كأنها
قادمة من جوف بئر
أو من دروب غابة مخيفة

* * *

نقرت عودى عندما أقبل صاحبى
لكنى يقول لا آه ، أن ترجع للغناء !!
المسرح القديم قد أعد
واللافتات عندما تصدرت شوارع المدينة
شدت عيون جيلنا
وزرعت أسئلة غريبة في أعين الصغار
وارتفعت اكتاف بعض الناشئة
لا تنبشما عن جرحى القديم
فلن أعود للغناء
ألفت أن أسير فوق الأرض ثابت الخطى
لا أن أسير في الفضاء
ألفت أن أرسو بالزورق فوق شاطئ
مبتعداً عن عاصف الأنوار
ألفت أن أشد فوق جسدى الغطاء
في أول المساء
فلن أعود للغناء

نقرت بالاصبع فوق ظهر عودى القديم

أخاف أن ترجع للمقهى
وللشطائر الليلية المتبلة
أخاف أن نلتف بعد نصف الليل
حول بائع الشواء
وأن تذوب في عيون ألفة الأشياء
وأن يصير عالمي أوسع مما شدته
وأن أحس بالشوة عندما يمتلأ الرداء
بهبة النساء الصيفية الرخية
وأن أضم في عيني الربيع والشتاء والخريف
وأكره الغطاء في أوائل المساء

نقربت بالأصبع فوق عودي القديم
أخاف أن تخذلني أصابعي
أخاف أن تخذلني الأوتار
أخاف أن يكون في حنجرتي بعض الغبار
فلا يموج في العروق ذلك التيار
حين يبعث التيار
أخاف أن تخذلني العيون
تعودت أن تشرب المعنى الصغير

مرسل الشعـور
مصبل الحفـون
منمق الياقة والرداء
يحوطه تضويع النساء
تبعث منه رقة المساء
ماذا ترى في وجهي المنضن القديم
ماذا ترى في صوتي الذي غفا
بضع سدين
لم يستمع له سوى حوائط الحرام

* * *

نقرت بالاصبع فوق ظهر عودي القديم
أمسكت بالريشة
داعبت الوتر
تولد النغم
تحرك الدفء إلى أصابعي
أحسنت بالحرارة المقدسة
تولد في جوانحي

تسرب المدفء إلى حبال صوتى الذى غفا
أحسست أن نغما فى العمق ربما يحىء
سوف أداعب الوتر
سوف أولد النغم
يا صاحبي . .
ربما أعود للنغماء

مارس ١٩٧٤

جنبة البحر

أى فج من فجاج الأفق ألقى بك يوما
أى ريح هزت السطح الذى يغرق نوما
جعلت سفحته الناعمة الملساء كوما
حركت فى قاعه عتبا .. وأرضاء .. ولوما

أنت .. يا جنبة البحر .. التى تعزف لحنا
فيه من وحشية الجن .. ولكن ليس جنا
فيه من كل جمال البحر .. لكن ليس هونا
فيه ما يقتل لكن لا أرى فى القتل غبنا

أنت يا من صدت هذا الوتر الحساس منى
تعرفين الأرق الدائم فى أحشاء فى
أنا لا أبحث عن شط به ترتاح سفنى
إنما أبحث عن بحر عنى الموج مضى

أطلق أوعية السحر وألوان البخور
أطلق فالنوم يودى بخطانا للقبور

أنا أدوى رهبة الغابات لاسحو الزهور
أن أصفى من لظا النار ابتسامات ونور
ان في عمق أعماقي صيادا وغابة
همجي الرقص .. لا يعرف ايقاع الرتابة
باحثا عن حلقة النار لسكى يذكي عذابه
أنت يا جنية البحر .. تخبين طلابه

مارس ١٩٧٠

المحتوى

صفحة

قراءة لقصائد ثلاثة شعراء شبان : بقلم الدكتور محمود الربيعي ٣٢-٤

المجموعة الأولى : حامد طاهر

٢٥	الطريق إلى الكلمة
٣٧	الحب والأشياء
٣٩	السابعة دائما
٤٢	كلمات للأرض
٤٤	الرسالة والسكين
٤٨	صمود
٥٠	النار المقسة
٥٣	لحظة وجد على الباب الأخضر
٥٧	الذي لا يعود
٥٩	الزيارة
٦٣	تحيتي إليهما
٦٥	المساء الذي ألعنه
١٨٧	

رقم الصفحة

٦٧	ميلاد أربع قطط
٧٠	أولى كلمات الحب
٧٢	مقطع من قصيدة لقاء
٧٢	مخاوف الملتقى والوداع
٧٥	السقوط من الجنة
٧٧	الرحلة إلى القصر المجهود
٨٠	أذكريني
٨٣	الوقوف في الريح
٨٦	وجه من القاهرة

المجموعة الثانية : محمد حماسة عبد اللطيف

٩١	أهدية الأولى
٩٢	في الطريق إلى حبيبتى
٩٤	مخاوف قرب الشاطئ
٩٦	لكننا نسير
١٠٠	أنين الذكريات
١٠٣	الذى لن يعود

١٠٥	قالومات
١٠٨	بحيرة الدموع
١١٠	ابتسامه باهته
١١٢	أبدا يأتي الليل
١١٤	أخاف من عينيك
١١٦	ماذا بعد ؟
١١٩	الوداع الأخير
١٢١	ماذا يقول الموتى ؟
١٢٤	الظل قبل الغروب

المجموعة الثالثة : أحمد درويش

١٢٩	مرثية إلى مجاهد
١٣٢	عينك
١٣٤	الحروف والشجر
١٣٧	زيارة سجين
١٤٠	أغنية حزينة - لطائر المساء
١٤٣	الظلم
١٨٩	

١٤٥	مخاوف على شاطئ الحب
١٣٧	إلى الشهيد المجهول
١٥٠	غريبات
١٥٣	الطائر المهاجر
١٥٥	ورقة ورد
١٥٧	المساء الأربعون
١٥٩	الدفء والتلج
١٦١	ما وراء الصمت
١٦٣	شهر يار في الليلة الألف
١٦٩	الرسالة الجريحة
١٧٢	خطوات الضوء الفضى
١٧٥	كلمات للطائر الأخضر
١٧٨	النقر على الأوتار
١٨٣	جنينة البحر

١٦٦

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٥٩ لسنة ١٩٧٤

دار الزيني للطباعة
شارع الجيش - حارة كنيسة الارمن